الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة ... كلية الآداب ... قسم اللغة ... العربي

تخصص: دراسات مقارنة في اللغة والأدب

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

2013
Fac 17 12236

شعر الخمرة بين أبي نواس وابن الفارض

دراسة مقارنة

من إعداد الطالب:

خالدي سليمان

تحت إشراف:

د. شريفي عبد اللطيف

السنة الجامعية:1432-1433هـ/2011-2012م

TAS_811_04
01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: دراسات مقارنة في اللغة والأدب

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ :

شعر الخمرة بين أبي نواس وابن الفارض
دراسة مقارنة

من إعداد الطالب:

خالدي سليمان

تحت إشراف:

د. شريفي عبد اللطيف

السنة الجامعية:1432-1433هـ/2011-2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وامتنان:

ا

لحمد لله الذي تتم به الصّالحات، وتقضى به الغايات، وتنال به الرغائب والحاجات، ذو الفضل لا راد لفضله رافع السماوات، المتنعم على عباده بالخير والكرامات، القائل سبحانه في محكم تنزيله:

﴿ يَرْفَعُ اَللَّهُ الذينَ آمَنُواْ منْكُم وَالذينَ أُوتواْ العلْمَ دَرَجَات﴾.

ومن فضله سبحانه أن أنعم علي بالتسهيل والتسخير في انجاز هذا العمل المتواضع الذي لم يكن ليتم لولا المساندة والتوجيه اللذين حظيت بهما من طرف الأستاذ الفاضل شريفي عبد اللطيف الذي تولى مهمة الإشراف على مذكرتي فكان نعم المشرف ونعم القدوة، فهو الذي لم يدخر جهدا في إرشادي وتوجيهي ولم يبخل بصغيرة ولا كبيرة وهو الذي لم يهنأ له بال حتى يتم هذا العمل ويصير على ماهو عليه. ألف شكر أستاذي الكريم، وإن كان لايوفيك أيّ شكر حقك وفضلك. كما أثني بالفضل على الأستاذ المناقش وله التحية الجزيلة. وأتقدّم شاكرا لعمال مكتبة كلية الأدب العربي وفقهم الله. وأنحني تواضعا وامتنانا لثلة الزملاء التي ساندتني، وأخص بالذكر صديقي وأخي خان جمال حفظه الله ورعاه وأنعم عليه بكل خير.

إهداء

يسرني ويملأ قلبي غبطة وفرحا وأنا أنهي مذكرتي على مشارف نهاية المشوار الجامعي أن أتقدم بثمرة هذا الجهد الذي لم يكن ليكون له أثر يذكر، ولم يكن ليحمل طعما دون أناس تواجدوا في كل فترات العمل والدراسة كما دأبوا أن يتواجدوا في كل مناسبات الحياة. فلا قيمة لأي إنجاز أو خطوة خطوتها أو سأخطوها فيما سيأتي من دونهم. ورأس القائمة الوالد الفاضل وهبه الله كل خير في الدارين، وأطال عمره، فهو الذي سخر كل الظروف وأناخ كل صعب وهيئ كل مناخ لي ولإخوتي في سبيل النجاح والتألق. والوالدتين الكريمتين فمن أكبر نعم الله أن أنعم عليّ بوالدتين وهبتاني الحنان حنانين والرعاية رعايتن والعطف عطفين والحب حبين. اللهم احفظهما وارعهما وبارك لي فيهما وبارك اللّهمَّ لهما في عمريهما وأعمالهما. إلى أفراد العائلة الكريمة من الإخوة والأخوات وبنيهم وبناتهم كلا باسمه. بدءًا من أكبر الأخوات فاطنة. إلى أصغر فرد في العائلة نجلاء. اللهم بارك في هذه الأسرة الغالية وانعم عليها بالحفظ والتيسير في أمورها. وشُدَّ أواصر المحبة والقربى فيها.

إلى مجموعة الأصدقاء والمقربين: عزي، صالح، أحمد، عمر،سفيان، زكي، حسين، الصادق،يونس ، بن شيحة، الطيب. وإلى جملة الأصدقاء من إقامة: 900 سرير. وإلى زملاء الدفعة المتخرجين.

إلى الصديق العزيز: كمال وإلى الغالي: عبد الحميد.إلى الأخوين اللذين افتقدتهما في نهاية المشوار الجامعي : حمزة وجمال. إلى أعز صديقين ومن هما بحق نعم الأخوين علي وبلعيد.

إلى قرة العين وزهرة القلب زينب إلى كل الأعزاء والأحباب وعذرا لمن لم أذكره في مذكرتي فالكل في قلبي وذاكرتي.

مقدمة

شكل شعر الخمر موضوعا هاما في الشعر العربي لما مثله الخمر من قيمة عظيمة عند العرب، ولما اكتساه من أهمية في أوساط بيئة تشربت الخمر حتى الثمالى في بواديها كما في حواضرها. ولم يقتصر هذا الولع عند البيئة الجاهلية. ولم يحدّه حادّ أو يزجره زاجر. بل ازداد وتطور بتطور العصور، وتطور فنونها حتى أصبح غرض الخمر مستقلا بذاته.

ورفع أبو نواس راية شعر الخمر في العصر العباسي ثائرا على القديم جاعلا للخمر غرضا خاصا به. فخرج عن المألوف وتجاوز النسيب والطلل ليخلص في بكاءه وحبه لخمرة عشقها حتى كادت أن تكون معبودته. ولقد برع النؤاسي في شعر الخمرة وتقلّد الريادة ولقّب أباً للخمريات وزعيما لها لما تفنن في وصفها وأكثر من شعره فيها.

ولا ننفك نتحدث عن هذا الرائد الخمري وخمرياته حتى يطالعنا رائد خمري باتجاه آخر. حمل لواء الخمرة ليجعلها رمزا تحمل حبه وهيامه. وأفاد من خمريات من سبقوه فأخذ من ألفاظهم ومعانيهم وصورهم وتعابيرهم وأسقطها في شعره ليرمز بها الى موضوعه الأسمى. أخذ من شعر الخمرة شكله وقالبه ولكنه لم يأخذ عبثه ومجونه.

إننا لا نكاد نتكلم عن الخمرة الروحية وروادها حتى يتبادر إلينا فحل عظيم برز فيها وأجاد. ولا نكاد نذكر شعراء الصوفية في العصر الأيوبي حتى نجد أنفسنا نتحدث عن اسم كبير وعلم من الأعلام. إنه عمر بن الفارض شاعر العشق الإلهي بخمرته الروحية التي أفرغ فيها ليجعلها مطية لبلوغ أعلى غاياته.

وبين خمرة النؤاسي وخمرة ابن الفارض نطرح إشكاليتنا لندرس الخمرتين ونقارن بينهما فيما حملتاه من أبعاد فكرية وفلسفية وفنية. فلكل خمرته كما لكل عصره وبيئته واتجاهه. فما هي خصائص خمرة النؤاسي؟ وما هي خصائص خمرة ابن الفارض؟ وما هي أضرب التشابه وما هي ضروب التباعد بين الخمرتين؟ والى أي حدّ استطاع ابن الفارض أن يجاري أبا نواس في خمرته باعتبار الثاني منهما علما في المجال بل ورائدا فحلا بشهادة الأقران؟.

بدأنا بحثنا بفصل تمهيدي جاء بعد المقدمة. أوردنا فيه ذكر الخمرة وتاريخها في أشعار العرب وراحل تطرها حتى العصر العباسي.

ثم وضعنا فصلا أولا درسنا فيه خمرة أبي نواس وخصائصها لنمر بعده إلى فصل ثان درسنا فيه خمرة بن الفارض وخصائصها. والفصل الثالث خصصناه لدراسة نموذج خمري لكل شاعر منهما ومن ثمّ نعقد المقارنة بين النموذجين في الأخير. لنخرج بخاتمة في المطاف كحوصلة لبحثنا المتواضع.

ضمناها أهم ما استخلصناه من خصائص في خمرة الشاعرين ومقدار التشابه والاختلاف بينهما

ولا يفوتنا التنويه ببعض الصعوبات التي اعترض طري بحثنا. وبطبيعة الحال لن يخلو أي بحث من الصعوبات والعراقيل. ومن بينها وأهمها ضيق الوقت المخصص لإ نجاز المذكرة ورغم ذلك فقد عملنا جاهدين حتى لا نتغاضى أو نغفل ونتساهل وننقص من قيمة أمور فنتجاوزها، لكي لا يخل ذلك ببحثنا أو يطبع عليه طابع النقص.

ضف إلى ذلك قلة المصادر والمراجع سيما المتعلقة بدراسة خمريات بن الفارض. والتي وان وجدت في فهارس المكتبات الجامعية فقلما صادفناها متواجدة في رفوفها.

كما يجدر بالذكر أن خمرية بن الفارض قد أرهقتني صراحة لما تحمله ألفاظها وعباراتها دلالات وإيحاءات غامضة يستعسر فهمها دون العودة إلى شرح الديوان. ولذلك عمدنا الى شرح الديوان بيتا بيتًا تبعا لشرح الشيخين البوريني والنابلسي رحمهما الله. حتى يتسر الفهم وتسهل الدراسة ونخرج بأوفر النتائج بإذن الله تع

خالدي سليمان

تلمسان يوم: 22 رجب 1433هـ

الموافق لـ :12جوان 2012م

الفصل الأول

" الخمرة في أشعار العرب"

- مقدمة
- الخمرة في الجاهلية
- الخمرة في صدر الإسلام
- الخمرة في العصر الأموي
- الخمرة في العصر العباسي

تمهيد:

عرف العرب الخمر قديما وكانت عندهم أكثر ما يذكر وما يتفنن في وصفه والإشارة إليه فكانت طبعا وميزة. شربوها وأحبوها ووصفوها وتناقلوا أخبارها ونوادر أصحابها وروادها منذ الجاهلية القديمة والعرب تعرف الخمر وتعصرها من التمر ومن الشعير والعنب.

ولقد جاء في القرآن الكريم ذكر لهاته الخمر في قوله عز وجل:

﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَناً ﴾[1]

ولقد كانت الخمرة حاضرة في شعر العرب حضورا لافتا فلم تكن مجالس الشعر تقام من دون خمر إلا نادرا فكانت الخمر هي الجليس والأداة والوسيلة لغرض الشعر واجل ما يهيئ به الجو لتلك المجالس ولربما تعدت إلى أكثر من ذلك كثيرا فكانت هي الغاية فنظم الشعر ليصفها ويصف مجالسها وأصحابها وإخبارها.

ولتكاد أنصار العرب تخلوا من ذكر الخمر في مختلف العصور الأدبية ولقد كان لكل عصر خصائصه وميزاته كما كان له رواده وإعلامه وسنورد فيما يأتي ذكرا موجزا لما اتسمت به هذه العصور من ذكر للخمر ووصفها وكيف عني بها الشعراء وتفننوا في ذكرها وكيف تطورت من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل.

الخمرة في الجاهلية:

عرف الشعر الخمري عند الشعراء الجاهليين؛ وقليل منهم من لم يعرف للخمر في شعره. وساقوا في ذلك أحسن التعابير وصوروا أحسن الصور بالنسبة لذلك العصر وبالنسبة إلى ما يلائم الأذواق في تلك البيئة. ولقد تفننوا ايما تفنن في وصفها وراحوا يرسمون لها أحسن الصور وأبدعها فبلغوا من الدقة في ذلك ما بلغوا. وراحوا يسمونها بمسميات ويصفونها ضمن تصنيفات عديدة مما يدل على أن

[1] القرآن الكريم الآية رقم: 17 من سورة النحل.

البيئة كانت بيئة خمر بكل المعاني والأوصاف. " وقد تصرف العرب في أسمائها وكناها بحسب اللون ودرجة الإسكار والبلاد التي كانت تجلب منها ومن ذلك انهم كانوا يسمون نبيذ الشعير الجعة، ونبيذ العسل البتع، أما المزر فنبيذ الحنطة، والسكركة اسم معرب لخمر الحبشة." [1]

ولعل أهم ما تميزت به الخمرة في شعر الجاهلية أنها كانت خمرة مفاخرة وترف ومتعة وهي خمرة تميز أصحابها بعلو المقام والمكان وكثيرا ما عبروا بها على البذل والسخاء والكرم، «والخمرة عند العرب من دواعي الفحر والفتوة، ومن دلائل الجود فامرؤ القيس يشربها طورا قبل تحشم الهول، وتارة يرجئ شربها إلى ما بعد تحقيق الرغائب الجسام»"[2]" كما قال وقد ظفر ببني أسد ثائرا لأبيه وكان العرب يحرمون شرب الخمر على أنفسهم إلى أن يدركوا ثأرهم:

لا تسقني الخمر إن لم يروا قتلي فئاسا بأبي الفاضل "[3]"

وهاهو عنترة يفتخر بشربها كافتخاره بالبطولة والشجاعة حيث يقول:

ولقد شربتُ مِنَ المَدامةِ بعدما ركدَ الهواجر بالمشوفِ المعلمِ

بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مدم

فإذا شربت فإني مستـهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

وإذا سحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي "[4]"

وطرفة يتبجح بما يبذل في سبيلها من عنفوان الصبى، ويعتبرها من أسباب اللهو اللذة. بل

---

[1] نصر عاطف جودة :"الرمز الشعري عند الصوفية"، ص328

[2] جورج غريب: "شعر اللهو والخمر. تاريخه وأعلامه"ص10 .

[3] امرؤ القيس: الديوان، ص149

[4] عنترة: الديوان، ص117

يعتز ببلوغه معها الفقر والبؤس جاعلا الخمرة احد مبادئ الحياة الثلاثة: أوليس هو القائل

« ومازال تشرابي الخمور؟» "[1]"

والقائل: **ولولا ثلاث هن من لذة الفتى وحقك لم أحفل متى قام عودي**

فمنهن سبيقى العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد [2]

إننا لا نستطيع حصر شعر الخمرة في هذا العصر لكثرته ولكثرة قائليه وتنوع مناسباته ولكن يجدر بنا أن نشير إلى أهم الأعلام الذين كلفوا بالخمريات في عصر الجاهلية فنذكر منهم: أعشى قيس، وعدي بن زيد العيادي، وطرفة بن العبد، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد...وتطول القائمة كثيرا ولعلنا نشير إلا أن الأعشى الأكبر كان رائدا بحق في هذا العصر.

«وأمّا الأعشى الأكبر: عنده للخمرة منزلة كبيرة، ولهذا أكثر من وصف الخمر وأطال وأجادَ وصفها كوصف عاشق لمعشوق. وتبسطّ فى الحديث عنها بحيث كادت الصورة الخمرية تكتمل فيه وكادت جميع المعاني الخمرية الموجودة في الجاهيلة تجتمع فيه بصورة كاملة وكان الشاعرُ يزجُّها في قصائده، أيّةً كان أغراضها ويتوسّل بها للمدح وغيره. وهذا يظهر واضحا في معلّقته حيث يستطرد عن تغزّله في وصف حبيبه «هريرة» ووصف الروضة إلى الحديث عن اللهو وشرب الخمرة »"[3]"

يقول:

وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعُنى شاوِمِشَلٌّ شَلولٌ، شُلشلُ، شَوِلُ

في فتيةٍ كسيوف الهندِ قد علموا أن ليسَ يَدفَعُ عن ذي الحيلةِ الحيلُ

[1] جورج غريب: "شعر اللهو والخمر.تارخه وأعلامه"ص10-11

[2] طرفة بن العبد: الديوان، ص32

[3] البستاني فؤاد إفرام: المجاني الحديثة، ج1، ص229/228

نازعتُهُم قُضُبَ الرّيحانِ، مُتّكئا وقهوةً مُزَّةً راووقُها خَضِلُ

لا يستفيقونَ منها، وهي راهنة إلاّ بـ «هاتِ» وإن علّوا وإن نهِلوا

يسعى بها ذوزجاجاتٍ له نُطُفٌ مُقلّصٌ أسَفَلَ السربالِ، مُعتمِلُ

ومستجيبٍ لصوتِ الصنج تسمَعَهُ إذا ترجّعُ فيه القينةُ الفُضُل"[1]

والواقع أن شعراء الخمرة في هذا العصر أكثروا من أوصافها وصوروا مختلف الأجواء التي تصاحبها والتي تخصها فلم يغفلوا عن ذكر أسمائها وألوانها ومصادرها، كما ألموا بوصف مجالسها وسقاتها وندمائها، وهذا انما يدل على كلف الشعراء في هذا العصر بالخمر وافتحال الظاهرة في المجتمع فجاءت التعابير والأوصاف صريحة ودقيقة لمشاهد هي من واقع يومياتهم وقد أشار الى هاته النقطة «جورج غريب» في كتابه «شعر اللهو والخمر. تاريخه وأعلامه»

حيث يقول:

« ولم يغفل شعراء هذا العهد عن وصف مجالس الخمرة، يصطحبونها مع الفجر عند صياح الديك، وأصوات نواقيس الكنائس الداعية إلى صلاة الصبح ....إلى أن يقول: أما الندمان فبيض كرام أصحاب لهو ومرح وحسن عشرة. وكان لألوان الخمرة أشكال في شعرهم. فهي حمراء كالدم.صافية كعين الديك عصر عنبها في أشهر الأمكنة...

ويضيف: كما أن لرائحتها وطعمها وقدمها مجالات أخر فهي لذاعة، رائحتها كالمسك وهي تسل غمامة المزكوم.

[1] عنترة: الديوان، ص147

وهناك الحانة وانيتها المبهاة لإقتناء الخمور من زقاق ودنان وأباريق وكؤوس، يختار الخمار لشاربها الساقية ويهيئ للشعراء طاقات الرياحين.

ولقد حفل شعر الجاهليين عامة وشعر الأعشى خاصة بوصف هذه الأشياء. وفي المفضليات قصيدة لعبدة بن الطيب صور فيها مجلس لهوه وشرابه أطرف تصوير وأصفا خمرته وندمانه ودنه وإبريقه وكأسه وجرته الضخمة المثقوبة وساقيه النشيط ومغنيته الحسنة الصوت وقد خلعوا عليها ما يرتدون من برود وسرابيل»"[1]"

أما عن طبائعها الفنية: فقد حصرها«إيليا الحاوي» في كتابه: «فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب» في اربعة خصائص هي كالتالي:

- **أولا**: أنها كانت مكرسة في مطلع القصائد كالطلل كما في معلقة عمرو بن كلثوم.
- **ثانيا**: أنها كانت أداة للتشابيه يمثل بها رضاب الحبيبة وما إليه
- **ثالثا**: أنها كانت متحدة بمضمون القصيدة لاتعدو فيها الأبيات والمقاطع وقلما عثرنا على قصيدة خمرية مستقلة بذاتها.
- **رابعا**: غلبة النزعة الوصفية عليها وقد اتصفت من هذا القبيل بخصائص الوصف الجاهلي العامة من اعتماد الشاعر فيها على التشبيه المتكرر وإلمامه بها في حدود الجزئيات المستقلة بعضا عن البعض الأخر وفي تمثيلها من خلال المشاهد الحسية والكنايات المادية فضلا عن اعتماده على السد القصصي حينا بعد آخر."[2]"

[1] جورج غريب: شعر اللهو والخمر. تاريخه وأعلامه، ص17/16
[2] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص75

ومن أهم مميزات شعر الخمرة في الجاهلية أنها وبالرغم من كثرة واصفيها وشعرائها لا نجدها تمثل غرضا مستقلا بذاته وإنما نجدها في طيات القصائد الطوال تمثل الجزء الأكبر.

فالميزة الأساسية في الشعر الخمري عند الشعراء الجاهليين هي أنهم لم يتخذوا الخمر فنا مستقلا من فنون الشعر كما اتخذوا المدح والهجاء والفخر والحماسة.

وفي هذا السياق يقول طه حسين:

«ولم يكن من الممكن أن يستقلَّ وصف الخَمر في هذا العصر ويصبح فنّا قائما بنفسه يقصد من حيث هو. لأن الحياة الجاهلية لم تكن تسمح بذلك ولا تدعو إليه. كما تدعو إلى وصف الخيل والإبل وما إلى الخيل والإبل. لأنّهم لم يكونوا من النعمة ولين العيش بحيث يستطيعون أن يعكفوا عليها ويعاشروها معاشرة متصّلة، كما كانوا يعاشرون الإبَل والشاة وإنّما كانت تسنح لكثير منهم فرصة اليوم أو الساعة، يشرب فيها ويلهو. فإذا فرغ من شربه ولهوه تحدّث بذلك مفاخرا، وربّما وصف الخمر وذكر اللهو وهو لم يشرب، ولم يأخذ من اللهو بحظّ. وإنّما دعاه إلى ذلك الفخر والفنّ. فقد دخل وصف الخمر والإلمام بها في فنّ الفخر، والتحدّث بما يمتاز به المفاخر من الكرم والسخاء، ومن العفّة حين يدعو كل شيء إلى إطراح العفّة إلى غير ذلك من هذه المعاني الشائقة، الّتي تجدها عند الجاهليين جميعا». "[1]

[1] طه حسين: حديث الأربعاء، ج2، ص76/75

ونؤكد هذا الرأي بقول «حنا الفاخوري» إذ يقول: «توقّف الجاهليّون في وصف الخمرة عند مظاهرها الخارجية وأشاروا إلى مفعولها في النفس وراحوا في تكثيف المادة التصويرية يقلّد بعضهم بعضا آخر ويكرّر بعضهم أقوال البعض الآخر... وهكذا فالشعر الخمري عندهم إلمامة سريعة».[1]

الخمرة في صدر الإسلام:

لما جاء الإسلام كان بعض الشعراء يذكرون الخمر في قصائد المديح كحسّان بن ثابت الأنصاري وكعب بن زهير. وعندما حرّم الإسلام الخمرة تقلّصَ ظلُّها في الشعر الإسلامي وسكت الناس عن الخمر. فركد الشعر الخمري في هذا العصر لأسباب يعودُ كلّها عن قريب أو بعيد إلى دين الإسلام. فمنها ما يعود إلى إشغال الناس بالتفكّر في كتاب اللّه وحفظ آياته ولِما فيه من خوف الله والآخرة. ومنها ما يعود إلى جِدّ الخلفاء وشدّتهم في شرب الخمر ووصفها. ومنها ما يعود إلى الفتح وخوض الناس فى الغزوات والمعارك. وإن تقلّصَ الشعر الخمري ولكنّ كثير من الناس – الأعراب البادين والمتحضرين – كانوا لا يضنّون على أنفسهم بالشّرب واللّهو. فكانوا يختلسونه اختلاسا ويسترقونه استراقا. ولكن تحريم الإسلام للخمر أدى إلى زوال الشعر الخمري بصورة كبيرة.

يقول «حاوي إيليا»عن الخمرة في هذا العصر فيما جاء في كتابه :فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب. «وفي العصر الإسلامي انحسرت الصورة الحسية الوصفية الطاغية للخمرة وحلت دونها نزعة جدلية يتعرض فيها الشاعر لتسفيه آراء عاذليه عليها مظهرا فضلها ومتغنيا بها متحرجا أو غير متحرج بها.فحارثة ابن بدر امتطى السرد والحوار ليتبرر بشربها ملماً بملامح خاطفة من وصفها أما أبو محجن

[1] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص696

الثقفي فكان يسطع في شعره وعي التأثم بشربها إذ يعاصي بها الدين والله طالبا أقصى غاية العصيان ليعارض مضطهديه والمتحرجين عليه مقيما لها أعراس اللهو في مجالس الغناء وهو لا يطيق هجرها ويتمنى أن تتروى عظامه منها في الرمس.ثم نراه في ناحية أخرى وقد اضطرب واجفا شاعرا بالإثم متندما. وهكذا فإن الخمرة الإسلامية تحولت إلى خمرة كلامية إذا جاز التعبير. ينظر الشاعر بأمرها بالنسبة للحلال والحرام ونواهي الدين وزواجره»[1]

يرى حاوي إيليا هنا أن الخمرة كانت مقيدة تقييدا كبيرا لحد أن وصل الأمر إلى أن يتفاداها الشعراء والناس في كلامهم إلا البعض القليل الذي وان لم يتفاداها فلم تعدوا عنده على كونها مجرد كلام وتغن لم تقم لها المجالس الماجنة مجاهرة لما يترتب عليها من إثم وخوف فقد كان العقاب شديدا يكون بالجلد والحبس وحلق اللحية والشوارب أو قطع العطاء.

والعهد الراشدي هو أشد العهود تمسكا بتعاليم الدين وإقامة حدوده وكان عمر بن الخطاب يجلد السكارى وقد عنف خالد بن الوليد على تدلكه بالخمرة في الحمام"[2]

ولكننا نجد شاعرا إسلاميا بارزا في هاته الفترة ينهض بها ويذكرها في شعره. انه المخضرم «حسان بن ثابت الأنصاري» فهو يصفها في عدة قصائد : « وصف من أحب الخمرة وعرف نشوتها وهو وصف فخري على عادة الجاهليين أكثر مما هو وصف تفصيلي وتحليلي»"[3]

فهو الذي يقول منتشيا في وصفها متعلقا بها واصفا الخمر وما يتعلق بها مباشرة ويطلب من

---

[1] إيليا حاوي فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص123.

[2] انظر جورج غريب: شعر اللهو والخمر، ص27/26.

[3] حنا الفاخوري: الجتمع في تاريخ الأدب العربي، ص416

الساقي أن يعطيه خمرة صرفا غير مقتولة بالماء، لتكون تأثيرها أشد في النفس حيث يقول:

ولقد شربتُ الخمر من حانوتها صهباءَ صافية لطعم الفلفلِ

يسعى عليَّ بكأسها متَنطِفٌ فيَعِلُّني منها، ولولم أنْهَلِ

إنّ التني ناوَلتَنى فرددتُها قُتِلتْ – قُتِلْتَ – فهاتها لم تَقْتَلِ

كلتاهما حلبُ العصير، فعاطني بزُجاجةٍ أرخاهُما لِلمفصَلِ

بِزُجاجةٍ رقصتْ بما في قعرها رَقصَ القَلوصِ براكبٍ مستعجلِ"1"

ولم يترك حسّان الأسلوب التقليدي في الشعر القديم حتى في قصيدته الشهيرة في فتح مكّة. فبدأ بذكر الأطلال فالغزل وبعد ذلك ينتقل إلى وصف الخمرة ويقول:

كأنَّ خبيئةً مِن بيت رأسٍ يكون مَزاجَها عسلٌ وماءُ

على أنيابها أوطعمَ غَضٍّ مِن التُّفاح هَصَّره اجتناءُ

إذا ما الأشرباتُ ذُكرنَ يوما فَهُنَّ لِطَيّبِ الرّاحِ الفِداءُ

نُولّيها المدامة، إن ألَمنا إذا ما كانَ مَغثٌ أولِحاءُ

ونشربُها، فتَترُكنُا ملوكا وأُسدا ما يُنَهنِهُها اللّقاءُ "2"

فنحن نراه يصف الخمرة وكأنه من المدمنين على شربها على التغني بها حتى انه لا يتراجع عن ذلك حتى في مدائحه للنبي صلى الله عيه وسلم.

---

[1] حسان بن ثابت: الديوان، ص181/180.

[2] الصدر السابق: ص14

ومن روادها في هذه المرحلة أيضا نجد كعبا بن زهير فنلفيه يزج بالخمرة زجا في مطلع قصيدته حيث يقول:

تجلو عوارض ذي ظلمٍ إذا ابتسمتَ كأنّه منهلٌ بالرّاح معلول

شجّت بذي شبم من ماءٍ محنيّة صافٍ بأبطح أضحى وهو مشمول "1"

وخلاصة القول أن الشعراء في هذه الفترة لم يضيفوا شيئا إلى الشعر الخمري وكان وصفهم فخريا على عادة الجاهليين ولا يدل على أنهم من المدمنين على الخمرة وربما دعا شعرهم الخمري إلى الفخر والفن لا غير.

الخمرة في العصر الأموي:

ما كاد ينتهي عصر الخلفاء ويثبت سلطان بني أمية حتّى ضعف سلطان الدين وانصرف الخلفاء وولاتُهم عن الحدود والشّرائع إلى الخصومات السياسيّة والجهاد بين الأحزاب والعصبيّات إلى جانب، واشتغلوا بالفتوحات والمعارك من جانب آخر. فكثرتْ الغنائم وعظمت الثروة. وكثيرون من أحفاد المهاجرين والأنصار وأشراف قريش، أقاموا في الحجاز، مستمتعين بثروة ضخمة وغنى كثير، غير داخلين في الأعمال السياسيّة خوفا وعقابا. وانصرفوا إلى اللهو وعكفوا على اللّذّة وشرب الخمر وأسرفوا فيها، فكثرتْ مجالس الخمر والغنى. فتطّور الشعر الخمري في هذه الفترة، حيث عادت الخمرة والشعر الخمري شيئا فشيئا إلى مكانتها الأولى، بل إنّه اتّسع بعض الاتّساع، كما يرى حنّا الفاخوري ويقول: «وقد انتشر الترف والغنى في بعض الأصقاع، فتهافت الناس على متع الحياة، وكان للخمرة

[1] كعب بن زهير: الديوان، ص84

في مجالس الحجاز والشّام والعراق مكان مرموق. ولا عجب والحالة هذه، في أن يزدهر الشعر الخمري عهد بني أمية وفي أن يكون للخمرة أنصار وأعوان».[1]

ولقد بلغ الأمر لاستفحاله إلى حدً ما «اضطرّ الخلفاء من بنى أميّة إلى أن يظهروا في بعض الأحيان ضروبا من القسوة، فنكلّوا ببعض هؤلاء الناس، عذّبوا بعضهم ثم نفوه... ومع هذا كان المسلمون يشربون ويلهون ولكنّهم كانوا يحتشمون فلا يكادون يذكرون ذلك في الشعر إلاّ إلماما، وكانوا يحتشمون إشفاقا ووقارا لم يكن المسيحيّون مكلّفين أن يحتشموا، ولا أن يخافوا، بل كانوا يجهرون بلذاتهم. وظهر في ذلك وبرع فيه الأخطل، شاعر بني أمية.»[2]

ومن شعر الأخطل الخمري هذه الأبيات التي يقول فيها:

شربنا فمِتنا ميتةً جاهلية مَضى أهلُها لم يعرفوا ما محمُّد

ثلاثة أيّامٍ، فلمّا تنبّهتْ حُشاشاتُ أنفاسٍ أتتنا تَرَدَّدُ[3]

ولكن لم تثبت صيرورة الأمر على هذه الحال فلقد أخذ استفحال الظاهرة يدب شيئا فشيئا إلى أن بعث المجون صارخا من جديد.

ولقد وصل الأمر إلى درجة أن الخلفاء في حد ذاتهم كانوا يشربونها في هذا العصر :

«فعبد الملك بن مروان يأتيها مرة في الشهر وابنه الوليد يشربها يوما بعد يوم وسليمان كل ثلاث ليال.

---

[1] حنا الفاخوري الجمع في تاريخ الأدب العربي، ص697

[2] طه حسين: حديث الأربعاء، ج2، ص77

[3] الأخطل: الديوان، ص124

أما يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد فلا يقيمان لها موعدا خاصا»"[1]

وكان الوليد بن يزيد من أبرز من ذكروا الخمرة في أشعارهم من خلفاء بني أمية على أن ذكره للخمر وتغنيه بها كان على شكل متفرقات لا قصائد مستقلة.

فهو القائل:

أصدع نجَّى الهموم بالطّرب وانعم على الدّهر بابنة العنب

واستقبل العيش في غضارته لا تقفُ منه آثارَ مُعتقب

من قهوةٍ زانها تقادُمُها فهي عجوزٌ تعلوعلى الحقب

أشهى إلى الشَّرب، يومَ جلوتِها مِن الفتاة الكريمة النسب

فقد تجلّتْ، ورقّ جوهرها حتّى تبدّتْ في منظرٍ عجبِ

فهي بغير المزاجِ، من شررٍ وهيَ لدى المزج، سائلُ الذهَب

كأنّها في زجاجها، قبسٌ تزهو ضياءً في عين مرتقب"[2]

وهو القائل:

كيفما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا"[3]

والواضح أن الأخطل كان أحد أهم وأشهر من وصف الخمرة في هذا العصر مع ما امتاز به شعره من جزالة وقوة حاكى فيها أساليب الجاهليين.

---

[1] جورج غريب: شعر اللهو والخمر تاريخه وأعلامه، ص28

[2] الوليد بن يزيد: الديوان، ص23

[3] المصدر نفسه: ص 82

وإن كان الأخطل مجيدا في وصف الخمر ومجالسها، ولكنّه جرى في ذلك على سنن شعراء الجاهليّة وظلّت ألفاظُه ومعانيه وصورُه متكررةً، أوتمّت إلى خمريات البادية بصلات وطيدة، كما يرى الدكتور طه حسين ويقول: «إنّ الأخطَل على إكثاره في وصف الخمر: لم يكد يتجاوز ما سبقه إليه الأعشى وغيرهُ من شعراء الجاهليّة، فهو أكثَر في وصف الخمر، ولكنّه لم يخترع شيئا كثيرا».[1]

ونفس الرأي ذهب إليه «إيليا حاوي» حين نجده يقول:

«وهكذا فان الأخطل يحتشد في خمرياته ويتألب. شأنه في ذلك كشأنه في سائر موضوعات شعره، اذ كانت الخمرة جزءا منها، أو بالأحرى جزءا من القصيدة الاتباعية المستهلة بذكر الطلل والضغائن والمطايا والمفازة وما إلى ذلك»[2]

ولقد تخلى أغلب الشعراء الأمويين عن النهج الذي اتبعه الأخطل فلم يتكلفوا الجزالة والشدة ورأوا أن جزالة العبارة ضرب من التقليد وتقيد بصعوبة لا جدوى ولا طائل منها ومن مثل ذلك نذكر ما قاله الوليد بن يزيد في هاته الأبيات الرقيقة:

علّلاني واسقياني من شراب أصفهاني

إن في الخمر لمسكا أو بكفي من سقاني

أو لقد غودر فيها حين صبت في الدّنان[3]

---

[1] طه حسين: حديث الأربعاء، ج2، ص93

[2] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص166

[3] الوليد بن يزيد: الديوان ص88/87

وعنه يقول طه حسين: «نراه يميل إلى الخفّة وسهولة اللفظ والعبارة ومسايرة المعاني لروح الحضر والمدنية، وفي هذا الشعر شيء من روح أبي نواس ولكنّه لم يبلغ من الصقل وصفاء الأديم ما بلغه أبو نواس. والفرق الآخر هو أنّ الوليد أقرب إلى البداوة من الحضارة محتفظا بالسنة القديمة، يتّخذ الخمر وسيلةً إلى الفخر.»"[1]

وخلاصة القول في حديثنا عن الخمرة الأموية أنها وان لم تختلف عن الخمرة الجاهلية في كثير من المميزات وفي كثير من الأحيان إلا أنها ليست خمرة جاهلية خالصة. إذ أنها تحررت من كثير من وصفيتها المغرقة وعباراتها الجزلة ولعلها كانت مرحلة وسطا بين الخمرة الجاهلية والخمرة العباسية التي بلغت أوْج الآفاق واكتست ألوان البديع كما سنعرض لها فيما يأتي.

وقد صرح جورج بأن الخمرة الأموية لم تستقل بخصائص ومميزات تخصها عن الخمرة الجاهلية حيث يقول:

«ومع ذلك فالبيئة الأموية لم تختلف كثيرا عن البيئة الجاهلية، فقد ظلت التبعية بماديتها وأسلوبها من أهم مقوماتها. كأني بالشاعر الأموي عاش في بيئته بذهنية جاهلية كادت تنعدم معها التجربة الذاتية الصحيحة»"[2]

[1] طه حسين: حديث الأربعاء، ج2، ص144

[2] جورج غريب: شعر اللهو والخمر تاريخه وأعلامه، ص30

الخمرة في العصر العباسي:

أطل العصر العباسي حاملا معه مظاهر الحضارة والجدة في كل الميادين.واختطلت الاجناس وكثر الاعاجم والفرس الذين أثروا بطبائعهم وعاداتهم سلبا وايجابا. وإن كان أكثر ما ورثته الدولة العباسية عنهم لا ينفك ينحسر في مظاهر اللهو والحرية العمياء وعموم الفساد. فاخذ المجتمع ينغمس في الملذات بداغي التحضر وينسلخ من روحه وقيمه منجرفا في سيل التطور فتبدلت الكثير من المظاهر وتركت عديد القيم وجرى الناس وراء الملذات ومظاهر الترف لحدّ دفع ببعض الخلفاء على تشجيع الناس على اللهو وشرب الخمر مثل الهادي والرشيد والامين والمأمون وغيرهم كثر. فأقبلوا عليها وأقاموا لها المجالس في قصورهم واكثروا من اقتناء الجواري وأجزلوا العطاء للمغنين في مجالسهم.

وأمام هذا الوضع المتسيب لم يكن يملك احد رفضا ولا سدا ففتحت الأبواب للإنغماس والانحلال على مصراعيها.

ومن أهم ما فرض هذا التحول الرهيب هو دخول الأجانب في الحكم وتمكنهم من الوزارات وتمتعهم بالصلاحيات المطلقة فاستفحلوا وبسطوا سلطانهم وتمتعوا بحرّياتهم لما وجدوه من ضعف في الخلفاء العباسيين الذين لم يرفضوا لهم طلبا ولم ينكروا عليهم فعلا.

يقول ايليا حاوي:« وربما حاول بعضهم أي يستبدّ بالسّلطة على الخليفة أو من دونه »[1]

[1] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص173

ويقول:«كما أنهم لم يحرجوا بشأن الخمرة حرج من إليهم أو من دونهم. مما أفسح في مجال الجهر بها ومواقعتها مواقعة علنية وإذا كانت الخمرة في أصلها مظهرا ترفيا من مظاهر الثراء فإن الدولة العباسية بأمرائها ووزرائها يسرت للشعراء سبلها إذ أغدقت عليهم وتغاضت عنهم».[1]

وأمام هذا الوضع المترف والمتساهل في أمور اللهو والمجون لا عجب أن يأخذ الشعراء في وصف الخمرة لتغني بها. ففاقوا من قبلهم وبرعوا في التجديد فكان لنسيب الخمر في هاته المرحلة الحظ الأوفر وكثر قائلوه ورواده. ولقد حظي هذا العصر برائد للخمريات عن جدارة هو ابو نواس الذي أثرى الشعر الخمري ونجد أيضا الحسين ابن الضحّاك رائدا هو الأخر في ذات المجال.

والواقع أن العصر العباسي في أوائله كان لا يزال يتسم بسمات العصر الأموي وما قبله التي طبعها الحياء والوقار لقرب العهد من فترة الحكم الإسلامي الراشدي. إلا أن الأيام تبدلت لتتبدل معها المظاهر تدريجيا.

يقول جورج غريب:« وإذا كان في مطلع العصر شيئ من التستر يمليه ما بقي من الخلق الموروث عند بعض الخاصة، فإنّ توالي الأيام انتزع من عقول العامة بقية الترصّنِ والإستخفاء. فالمجون قد شاع وحانات الخمر منتشرة، ومتطلبوا اللهو كثر، وشعراء الفسق والفجور مندسون في كل زاوية».[2]

ووصل الحد بالبعض من الفقهاء إلى أن يحللوا الخمر كما يقول احمد آمين:«واستطاع بغض فقهاء العراق أن يجتهدوا في البحث عن شيئ يحللوا الخمر، وخرج هؤلاء الفقهاء من اجتهادهم بتحليل

[1] المصدر نفسه: ص173

[2] جورج غريب شعر اللهو والخمر تاريخه وأعلامه، ص32.

بعض أنواع الأنبذة كنبيذ التمر والزبيب الطبوخ أدنى طبخ نبيذ العسل والبُرّ والتين».[1]

وفي إشارة من الدكتور محمد زكي العشماوي إلى تفاقم الظاهرة وانتشارها نجده يقول: « فكثر شعراء المجون، أشاروا بصفة خاصة إلى جماعة منهم وأطلقوا عليهم اسم عصابة المجّان. ومن أشهر أفرادها مسلم بن الوليد والفضل الرقاش ومطيع بن اياس وحمّاد عجرد وابان اللاحق والحسين بن الضّحّاك وأحيانا العباس بن الأحنف ومعهم أبو نواس وغير هؤلاء كثيرون وقد كانوا يجتمعون في حانات بغداد يقيمون فيها أيّاما موصولة لا ينقطع فيها شرابهم ولا مجونهم».[2]

ولقد تميز العصر العباسي في شعره تميّزا صريحا بالخمرة كما يقول ايليا حاوي:

« فالخمرة ربيبة الحضارة بل هي رمزها فيما كان الطلل رمزا لحيات العرب الضّاربين في متاهة صحرائهم القاحلة».[3]

ويحدثنا الدكتور مصطفى بيطام عن ولوع العامة والخاصة بشرب الخمرة فيقول:

« فهي تقوم في اكثر من مكان وبالأخص في ربوع بغداد والبصرة والكوفة. تلك الأمصار المكتظة بإعلام المغنين وكثرة الجواري اللائي تحولن إلى أدوات فتنة وإغراء وريبة ومجون وعبث».[4]

في ظروف مثل هذه الظروف وبيئة كهذه تعدّ أخصب البيئات للشعر الخمري وأصلحها لان ينموا ويتطوّر. فكان عصر الخمرة عن جدارة من كل النواحي فالحديث كل الحديث عن الخمر واحتدم التنافس بين روادها وشعرائها فالكل مفتون بها ولا حديث إلا عنها كما يقول جورج غريب:« لقد

---

[1] أحمد أمين، فجر الإسلام ج1، ص119.

[2] محمد زي العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، ص67.

[3] إيليا حاوي فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص178

[4] مصطفى بيطام: مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول، ص80.

بلغت بغداد من الترف والثراء والتحضّر ما لم تبلغه حاضرة سواها في ذلك الزمن فليس بسمع فيها على جدّ قول النواسي».[1]:

إلاّ صوت غانيـــــــــــــــة مجهودة جدّدت عهدا لمقترح

والخمر قد برزت في ثوب زينتها فالناس ما بين مخمور ومصطبح[2]

وخلاصة القول في الخمرة العباسية أنها خمرة استوفت أتم صورها واكتمل نضجها وبلغت أوجها مع رائد الخمريات عن جدارة أبو نواس الذي مثل الثورة على القديم ونزع إلى التجديد. ليس هو وحده من حمل هذا الشعار بل هو شعار العصر العباسي في معظمه الذي توسم بمعالم الحضارة والتجديد والثورة في شتى مجالاته وآدابه وفنونه وكان شعر

الخمر بالطّبع أهمّ المواضيع وباعتباره موضوعا لبحثنا فهو اجلّ ما يهمّنا في هذا السّياق وفي هذا العصر الذي حمل طابع التّجديد وبزغ فيه فجر جديد لرائد خمريّ المّ بالخمرة وبمعانيها وأجاد في وصفها ورسم صوّرها كأحسن ما يرسم الفنان أجمل وأروع لوحاته. إنّه النّؤاسي الذي مثّل جانبا نهما في الأدب العبّاسي بصفة عامة بل في الأدب والشّعر العربي مطلقا.

[1] جورج غريب: شعر اللهو والخمر تاريخه وأعلامه، ص32

[2] أبو نواس : الديوان، ص102

الفصل الثاني
"خمريات أبي نواس"

تمهيد:

عرفنا بأن الشعراء الجاهليين والإسلاميين وصفو الخمر وتغنوا بها لأغراض أخر أهمها الفخر، ولم يكن وصف الخمر فيها غرضا من الأغراض الشعرية، ولم يكن فنا مستقلا بذاته. ولكن جاء أبو نواس يصف الخمرة وينصب لها غرضا خاصا بها يفرضه بين الأغراض المعروفة قبله. فنحن في دراسة قصائده ننتبه أنه لا يمتاز بالمدح ولا بالهجاء ولا ولا بغيرها من الأغراض التقليدية، بل انه يمتاز بشعره الخمري ولقد اقترن ذكره بالخمرة وبقي ملازما لها حتى يومنا هذا. حتى قيل انه شاعر الخمرة وقيل انه مؤسس مدرسة الخمر، واعتبره الكثيرون زعيما بلا منازع للخمريات في الأدب العربي. ولا شك في صحة جميع هذه الأوصاف، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو كيف ظل زعيما للخمريات مع أنه لم يكن أول من قال وأبدع في هذا الغرض في تاريخ الشعر الخمري؟ بل سبقه إليه الكثير من الشعراء في العصور الجاهلية والإسلامية ونافسه كثير من معاصريه.والحقيقة تتجلى في شخص أبي نواس وفيما أخلصه للخمرة ولشعرها، فهو من دأب على جعل الخمرة محبوبته المطلقة وأخلص لها في عشقه وهيامه وهو الذي جعلها ملاذا له ومفرّا من مشاكله وهمومه، وهو الذي جعلها أنيسته في وحدته وأحزانه وشجونه. فعبر بها عن كل ما يعتريه وما يعكر صفوه،وقدسها لتكون مرآته في المجتمع وترجمان نفسيته ووسيلة تعبيره عن فكره وفلسفته. فلا ريب أنه استحق وبجدارة أن يكون رائدا لشعر الخمرة وأن يصدق كل ما قيل في حقه بشأنها لما أولاها من اهتمام وخصها به من تقديس.

المبحث الأول: التعريـف بأبي نـــــواس

أصلـــه وكنيتـــه:

«هو الحسن بن هانئ بن الصباح بن عبد الله بن الجراح بن جعادة بن أفلح بن هنب بن دوّة بن غنم بن سلم بن حكم بن سعد العشيرة بن مالك.

وعن كنيته بأبي نواس فقد قال عنها عندما سئل عنها ومن سماه بها وماذا أراد بها: نواس وجدن ويزن وكلال وكلاع أسماء جبال لملوك حمير، والجبل الذي يقال له نواس وكانت كنيته الأصلية أبا علي، وإنما كان يشتهي أن يلقب بأبي نواس لشهرته، وانه من أسماء ملوك اليمن»[1]

«وقيل كان أبو نواس من الخور من شيركان، وقيل من قرية من قرى الأهواز، وقيل بل من أرض منذر الصغرى. والمجمع على أصله أنه من الأهواز.

وقيل كان أبو نواس مولى محمد بن عمر الحاكمي. من جاء وحكم قبيلتين من مذحج من اليمن ومحمد بن عمر هذا خال بشر بن المفضل اللّاحقي»[2] وقيل إن أباه « كان مولى لأل الحكم بن الجراح من بني سعد العشيرة»[3]

ولقد تعددت الآراء حول نسب أبي نواس فهناك من كان يذهب إلى «أن نسبه ينتهي الى العرب اليمانية فمن يعمد الى شعر ابي نواس يرى أنه قد أكثر من مدحه لليمانية وافتخاره بانتسابه لهم»[4]

يقول أبو نواس:

أمن تميم؟ قلت كلا ولكن من الحي اليماني[5]

---

[1] ابن منظور: مختار الأغاني ج3، ص6/5.

[2] المصدر نفسه، ص10

[3] ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص194.

[4] أحلام الزعيم: ابو نواس بين العبث والإغتراب والتمرد، ص16.

[5] الديوان، ص641

ويقول:

بل فازدهتني للصبا أريحية يمانية إن السماح يماني[1]

وكان ابن عساكر قد نسب أبا نواس إلى اليمن حيث قال:« ويصل نسبه بسبأ بن يشعب بن يعرب بن قحطان»[2]

مولـــــــــده:

فقد اختلف فيه. فقيل «كان مولده في سنة ست وثلاثين ومائة وقيل سنة خمس وأربعين، وقيل سنة ثمان وأربعين ، وقيل سنة تسع وأربعين»[3]

«واختلف في موته فقيل:توفي سنة خمس وتسعين ومئة وقيل سنة ستّ وتسعين وقيل سنة سبع وتسعين وقيل سنة ثماني وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين. وقيل مات قبل دخول المأمون بغداد بثمان سنين وكان عمره تسعا وخمسين سنة»[4]

وترى الدكتورة أحلام الزعيم في أمره فتقول:« ونحن من المرجحين أن يكون مولده ووفاته بين عام 139هـ و199هـ أي بعد الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون والتي انتهت بمقتل الأمين، ولعل رثاءه للأمين ما يؤكد وفاته بين عامي 197هـ و199هـ عن عمر لا يتجاوز التاسعة والخمسين»[5]

أما فيما يتعلق بأمه فقد قيل:« كانت أم أبي نواس عجمية نبادة في الفرات. وقيل : كانت سندية يقال لها "جلّ بان" وفيها يقول اللاحقي:

أبو نواس بن هاني وأمه جلّ بان

والنّاس أفطن شيء إلى دقيق المعاني

---

[1] الديوان ، ص250.
[2] ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير،ج4، ص258.
[3] ابن منظور: مختار الأغاني، ج3، ص9
[4] المصدر نفسه ص11.
[5] أحلام الزعيم: ابو نواس بين العبث والإغتراب والتمرد، ص18/17.

إن زدت حرفا على ذا يا صاح اقطع لساني»[1]

وجاء في طبقات الشعراء: « كانت أهوازية يقال لها جلّبان من بعض مدن الأهواز»[2]

نشـــــأته:

جاء في طبقات ابن المعتز: « أن أباه تزوج جلّبان فأولدها عدّة بنين منهم أبو ناس وأخواه أبو محمد وأبو معاذ. ولما مات والدهم هانئ، وأبو نواس صغير نقلته أمه إلى البصرة وهو ابن ست سنين فأسلمته إلى الكتاب. فلما ترعرع خرج إلى الأهواز فانقطع إلى والبة ابن الحباب الشاعر، وكان والبة مقيما بالأهواز عند ابن عمه النجاشي وهو واليها، فأدبه وخرجه. ولما مات والبة لزم خلفا الأحمر وكان خلف أشعر أهل وقتهن وأعلمهمن فحمل عنه علما كثيرا وأدبا واسعا، فخرج واحد زمانه في ذلك»[3]

وقال الجاحظ: « ولما شب أسلمته أمّه برّاء يبري عود البخور ثم كبر وتأدب وصحب أهل المسجد والمجان واشتهى الكلام، فقعد إلى أصحابه فتعلم منهم شيئا من الكلام»[4]

عصـــــره:

نشأ أبو نواس في العصر الذهبي للخلافة العباسية ، عصر القوة والرخاء، عصر الحضارة والتجديد.وقد رأينا كيف كان تطور الحياة الاجتماعية والسياسية وكيف كانت بغداد في ذلك العصر من حيث غناها وعمرانها وبذخ ملوكها وأمرائها ومترفيها.

ونحن إذ نطالع أخبار الأمراء والوزراء في ذلك العصر ومن والاهم من أصحاب الترف وكيف كانوا يتمتعون بأسباب الحضارة من عبيد وجوار وقصور، ويغرقون في سبل اللهو من شرب وغناء ورقص ندرك الجو الذي وجد فيه شاعرنا والذي أثر في تكوينه أيّما تأثير

[1] ابن منظور: مختار الأغاني ج3،ص23.
[2] ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص194.
[3] المصدر نفسه، ص194.
[4] ابن منظور: أخبار أبي نواس، ص21.

مكـانته بين رجــال عصـــره:

أوردت الدكتورة أحلام الزعيم أن المأمون شهد له بمكانته في العلم وبأنه أشعر الحاضرين بمجلسه وبأنه شيخ الشعراء وبأنّه أشعر الشعراء في زمانه[1]

«وقال أبو عبيدة كان أبو ناس للمحدثين مثل امرئ القيس للمتقدمين.وكان يقول: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهم الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال. وقال ميمون: سألت يعقوب بن السكيت عما يختار لي روايته من أشعار العرب الشعراء فقال: إذا رويت عن الجاهليين فارو عن امرئ القيس والأعشى وعن الإسلاميين فارو لجرير و الفرزدق وعن المحدثين فحسبك أبو نواس»[2]

وقد أشار ابن عساكر إلى ما قاله الجاحظ عن أبي نواس حين يقول:« ما رأيت أحدا أعلم باللغة من أبي نواس ولا أفصح منه لهجة مع حلاوة ومجانبة الاستكراه. وأنشد له النظام شعرا في الخمر ثم قال : هذا الذي جمع له الكلام واختار أحسنه وقال كلثوم العتابي لرجل يناظره في شعر أبي نواس: لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد»[3]

« وقال الأصمعي: قال لي الفضل بن الربيع من أشعر أهل زمانك يا أصمعي؟ قلت أبو نواس حيث يقول:

أما ترى الشمس حلّت الحملا وقام وزن الزمان فاعتدلا

فقال والله انه لشاعر فطن»[4]

[1] أحلام الزعيم: أبو نواس بين العبث والإغتراب والتمرد، ص22.
[2] ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ج4، ص259.
[3] المصدر نفسه، ص259.
[4] المصدر نفسه، ص259/258.

وأورد ابن منظور انه جاء في تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر:« حدث جماعة ممن شاهد أبا نواس قالوا: كان أقل ما في أبي نواس الشعر، وكان فحلا رواية عالما. وقال عبيد بن محمد بن عائشة: من طلب الأدب فلم يرو شعر أبي نواس فليس بتام الأدب»[1]

« وسئل حبيب بن أوس عن شعر أبي نواس كيف هو عنده، فقال: أبو نواس ومسلم: اللات والعزى ، وأنا أعبدهما»[2]

أدبـه وعلمـه ونبـوغـه:

«يعد أبو نواس من أكثر شعراء العصر العباسي اطلاعا على ضروب الثقافة المختلفة في عصره وقد حرص على أن يتلقى ثقافته على أيدي العلماء المعروفين فاخذ العلم واللغة عن أبي عبيدة وخلف الأحمر وأبي يزيد اللغوي، مما عمق معرفته بأخبار العرب وأيّام النّاس وفي معاني الشعر وغريب الألفاظ»[3]

وفي كلام طويل يقول عنه الدكتور عبد الفتاح نافع: « واخذ الكلام عن النظام شيخ المعتزلة وشملت ثقافته علم النجوم وعلم الطبائع وفن الغناء وتبحر في علوم الدين فعرف ما يتعلق بأحكام القرآن وطرق الحديث. فكان عالما وفقيها وقارئا متميزا في قراءة القرآن. واطلع اطلاعا واسعا على الشعر القديم، فكان يحفظ دواوين ستين امرأة فضلا عن الرجال. وكثرت معانيه واختراعاته فسلكه النقاد في مصاف امرئ القيس ودون شعره كبار العلماء والأشراف ونال إعجاب الشعراء على اختلاف اتجاهاتهم فاعترفوا له بالسبق»[4]

ولقد جاء في طبقات الشعراء لابن المعتز:« كان أبو نواس عالما فقيها. عارفا بالأحكام والفتيا، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه،وقد

[1] ابن منظور: مختار الأغاني، ج3، ص33
[2] ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص284
[3] ابن منظور: أبو نواس في تاريخه وعبثه ومجونه، ص32
[4] عبد الفتاح نافع: الشعر العباسي قضايا وظواهر، ص65

تأدب بالصرة وكان أحفظ الناس لأشعار القدماء والمخضرمين وأوائل المسلمين والمحدثين. لما فرغ أبو نواس من إحكام هذه الفنون تفرغ للنوادر والمجون والملح فحفظ منها شيئا كثيرا حتى صار أغزر النّاس علما.ثم أخذ في قول الشعر فبرز على أقرانه، وبرع على أهل زمانه، واصل بالوزراء والأشراف فجالسهم وعاشرهم فصار مثلا في النّاس وأحبه الخاصّة والعامّة»[1]

يقول إيليا حاوي في مقدمة شرحه لديوان أبي نواس:« بل انه ألف فيها – خمرياته – معظم علوم عصره»[2] مشيرا هنا إلى سعة ثقافته وغزارة علمه.

قـــالوا في أبـي نـــواس:

من غير الممكن بل من المستحيل أن يتألق شاعر مثل أبي نواس ويأسر الدنيا بشعره دون أن يشهد له العام الخاص بفضله وقدرته وبنبوغه وتميزه.

وفيما يلي بعض الأقوال التي قيلت في الشاعر الكبير وهي شهادات في حقه:

لولا ما غلب عليه من الهزل لاستشهد بكلامه في كتاب الله تعالى:« كان ابن الأعرابي يقول لولا أن أبا نواس وضع نفسه بهذه الأدناس والأرفاث لاستشهدت بشعره ولاحتججت به، وقال: ختمت الشعر بأبي نواس فلم أدوّن بعده لشاعر. وناهيك بهذا القول من دلالة على قدر من قيل في حقه ومكانته من الفضل والعلم.»[3]

قال ميمون سألت يعقوب بن السكيت عمّا يختار لي روايته من أشعار الشعراء فقال:

إذا رويت من الجاهلية فلامرئ القيس والأعشى ومن الإسلاميين لجرير والفرزدق ومن المحدثين فلأبي نواس فحسبك[4]

[1] ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص210
[2] إيليا الحاوي: شرح ديوان أبي نواس، ص10
[3] ابن منظور: مختار الأغاني، ج3، ص6/5
[4] محمد عبد الرحيم: ديوان أبي نواس مع السيرة والأقوال والنوادر، ص13/12

قال حبيب بن العمان الحميري: سمعت كلثوم بن عمرو يقول لرجل وقد تناظرا في شعر أبي نواس فقال: لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد[1]

قال أبو عثمان الجاحظ : ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبي نواس ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة للاستكراه[2]

قال الإمام شمس الدين الذهبي: ما رأي أحفظ من أبي نواس مع قلة كتبه. وشعره عشرة أنواع وقد برز في العشرة[3]

قال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين مثل امرئ القيس للمتقدمين[4]

جاء في أحبار أبي نواس لابن منظور: «قال أبو حاتم: كانت المعاني مدفونة حتى أثارها أبو نواس. وقال المكي: مازالت المعني مكنوزة في الأرض حتى جاء أبو نواس فاسخرجها.»[5]

[1] المصر السابق: ص14/13
[2] الصدر نفسه: ص14
[3] المصدر نفسه: ص14
[4] المصدر نفسه: ص14
[5] ابن منظور: أخبار أبي نواس، ص64

المبحث الثاني: خـمريـاته

1* من ناحية الشكل والمضمون:

أ * من الناحية الشكلية:

أبو نواس رائد الشعر الخمري على مرّ العصور اتخذ من شعر الخمرة مدخلا إلى عالم السياسة والسعادة والجمال والمعرفة،ومخرجا وحيدا من سجن المجتمع وأعرافه وتقاليده ومن أزمات محيطه. بسبب هذه الأهمية البالغ اكتست خمرياته من ناحية الشكل ميزات وخصائص سنحاول التطرق إليها لنمر من خلالها إلى دراسة مضامين الخمريات بعدها.

إن المتأمل في خمريات أبي نواس وخمريات سابقيه يدرك بسهولة الفرق بين الخمرتين من حيث أن خمرة السابقين لم نكن غرضا مستقلا بذاته، وإنما كان الشعراء يقصدون إلى غرض أصلي وهو الفخر غالبا أو التمدح بالمحاسن والأخلاق الكريمة.

والميزة الثانية هي أنّ الألفاظ المستعملة والمعاني المقصودة كانت متكرّرة إلى حد كبير، والشعراء الذين وصفوا الخمر أجادوا فيها بعض الإجادة ولم يكن وصفهم عميقاً بل كانوا يقنعون بالظواهر، يصفون أقداحها وأباريقها ومكان شرائها وصفاً مجملاً ويصفون طعمها عند المزاج بالماء وما تُثير من نشوة غير مبالغين في هذا الوصف ولا مسرفين في البحث عن الدقائق. ولكنّهم لم يبلغوا من الصقل والصفاء ما بلغه أبو نواس.

«فالخمرة عند أبي نواس في بداية الأمر كانت وسيلة للفخر، يبذل فيها الدُرَّ والياقوت ويفتخر بشربها وبإتلاف المال فيها ليدلّ على جوده وكرمه كما فعل طرفة بن العبد والآخرون، من الشعراء الجاهليين.»[1]

يقول أبو نواس:

إني بذلتُ لها لمّا بصرتُ بها صاعاً من الدُّر والياقوت ما ثُقِبا

[1] نجيب عطوي علي: خمريات أبي نواس، ص53/52

يا قهوة حُرّمت إلاّ على رَجُلٍ أثرى فأتلفَ فيهاالمالَ والنشبا[1]

وهذين البيتين وان خليا من معنى التجديد إلا رائعين جدا من ناحية المعنى.

وخمرة أبي نواس مشرقه منيرة دائما، تُضيء أينما وجدت في البيت أوالحانة كما يقول:

ترى حيثُ ما كانت من البيت مشرقا وما لم تكن فيه مِن البيت مغربا

يدور بها ساقٍ أغن ترى لـــــــه على مُستدار الأذن صُدغا معقربا[2]

وهي بأضوائها وتلألؤها شمس منيرة تولد الأضواء ففي البيت الأتي صورة تخطف العقل لخمرة لا يعرف سرّها إلا النؤاسي:

فلو مزجتَ بها نوراً لمازَجَها حتّى تولّدَ أنوارٌ وأضواءُ[3]

«وهي كالورد وكعين الديك حمراء، وحين تختلط بالماء تفورُ، وتبدو فقاقيعها فوقها بيضاء كالحُبب أو حبّات الدُّر»[4] كما يقول:

وقهوة كجنيِّ الورد خالص قد أذهب العتقُ فيها الذامَ والرنقا[5]

ويفتنّ في تصوير كؤوسها وأباريقها صوراً فنيةً جميلةً أبدع خلقها وتكوينها ، ويقول في إبريقها وهو على صورة ظبي مشرف على مكان عال:

كأنَّ إبريقنا ظبى على شرفٍ قد مدَّ منه لخوف القانص العنقا[6]

---

[1] الديوان: 42
[2] المصدر نفسه: ص37
[3] المصدر نفسه: ص 07
[4] نجيب عطوي علي: خمريات أبي نواس، ص45/44
[5] الديوان: ص438
[6] المصدر نفسه: ص 438

وتصبّ الخمر في الأباريق وفي الكؤوس، وهي بيضاء زجاجية أومن نحاس مصّور عليه صورة الأكاسرة أو صور الحيوان:

والكوبُ يضحك كالغزال مسبّحا عند الركوع بلثغة الفافاء

وكأنَّ أقداح الزجاج إذا جرت وسطَ الظلام، كواكبُ الجوزاء[1]

ولنتأمل كيف يجيد أبو نواس وصفه لإحدى زوراته للحانات بالليل والناس نيام، انه يدب وحده أو مع بعض أصحابه، فيطرق باب صاحب الحانة، وهو نصراني حيناً ويهودياً أحياناً، فيجيبهم هو أو تُجيبُهم ابنته ويتوجسّ من الطارقين أوّل الأمر، ثم لا يلبث أن يطمئن إليهم لِأنّه يعرف فيهم زبائنهم الّذين اعتادوه، واعتادوا أن يقدّموا المالَ في سبيل الخمر ولا يبخلون، فيجود لهم بأحسنها كما يقول:

وفتيةٍ كنجوم الليلِ أوجُهُهُم مِن كلِّ أغيدَ لِلغمّاء فرّاجِ

أنضاءِ كأسٍ إذا ما اللّيل جنَّهُمُ ساقَتْهم نحوَها سوقا بإزعاج

طرقتُ صاحبَ حانوتٍ بهم سحرا واللّيل مُنسَدل الظلماء كالسّاجِ

لمّا قرعتُ عليه البابَ أوجَلَه وقالَ بينَ مُسِرَّ الخوف والرّاجي

من ذا؟ فقلتُ: فتى نادته لذّتُه فليسَ عنها إلى شيء بمُنعاجِ

افتح فقهقه من قولي وقال لقد هيّجتَ خوفي لِأمرٍ فيه إبهاجي[2]

والخمرة عنده عذراء تزفّ، ومهرها غالٍ وهي كريمة، لا يخطبها إلاّ الكرام:

يا خاطبَ القهوة الصهباء يمهرها بالرّطل يأخُذُ منها مِلأهُ ذهبا

[1] المصدر السابق: ص 22.
[2] الصدر نفسه: ص 136.

قصّرتُ بالرّاح فاخدر عن تسمعها فيحلفُ الكرمُ أن لا يحمل العنبا

قالت: فمن خاطبي هذا؟ فقلتُ أنا قالت: فبعلي؟ قلتُ: الماءُ إن عَذُبا[1]

وخلاصة القول عن خمرة النؤاسي من الناحية الشكلية أنها اكتست طابع الجدة لما أصبغها به أبو نواس من صور وأوصاف محدثة وجديدة. فهو استخدم الخمرة في بدايات أمره وسيلة للفخر يشربها ويتلف المال فيها ليدل على جوده وكرمه ولكنه من ناحية الألفاظ رائعة جدّا بحيث لا يمكن مقارنة خمريات الجاهليين بها. فخمرته مشرقة متلألئة منيرة. وهو في تصوير الكؤوس والأباريق يخلق صورا فنية جميلة وجديدة لم يسبقه إليها غيره وهو يصور مجالس الخمر بأحسن الصور. هي ميزات اتسمت بها خمريات أبي نواس فأعطاها سمة الجدة والتميز في الشكل.

ب* خـمريــاته من ناحية المضمون:

إن الوقوف على آفاق خمرة النؤاسي يقتضي منا تتبع أبعاد هذه الخمرة ومعانيها على حسب المواقف والظروف التي أحاطت بالشاعر. ولقد استعملها في أغراض مختلفة وحمّلها عديد المعاني والمضامين على حسب الظروف وعلى حسب فكره وفلسفته.

وخمرياته أنواع كما لها درجات ومراتب وسنورد هاته الأنواع كالتالي:

[1] المصدر السابق: ص 42

1-الخمرة التقليدية:

لقد اتخّذ الخمرة – في بادئ الأمر – وسيلة لأغراض أخرى، كما اتخذها الشاعر الجاهلي والإسلامي و الأموي قبله. منها الفخر. فلم يأت بشيء جديد في هذا الصعيد من ناحية المعنى إلاّ أنّ في وصفه فيها روعة وجمال كما يقول مفتخرا بخمرته الغالية:

خطبنا إلى الدهقانِ بعض بناته فزوّجنا منهنّ في خدره الكُبرى

وما زال يُغلي مهرها، ويزيد إلى أن بلغنا منه غاية القُصوى[1]

وفي قصيدة أخرى يفتخر باستطاعته في شراء الخمرة ويقول:

يا قهوةً حرّمتْ إلاّ على رجلٍ أثرى فأتلفَ فيها المال والنشبا[2]

وهو هنا يجاري قول الشاعر الجاهلي عنترة بن شدّاد حين يقول قبله:

فإذا شربتُ فإنّني مستهلكٌ ما لي وعرضي وافرٌ لم يُكلَمِ[3]

وكما افتخر بها طرفة بن العبد:

وما زالَ تشرابي الخمورَ ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتلدي[4]

2-الخمرة الفنية:

بعد المرحلة التقليدية أدرك أبو نواس ضرورة التجديد في الشعر، فثار على الأعراف والتقاليد و القيم الأخلاقية السائدة لا تناسب أحوال مجتمعه. وهو في الحقيقة تبنّى على صعيد الشعر من الحرّية مبدأ

[1] المصدر السابق: ص28
[2] المصدر نفسه: ص 42
[3] عنترة: الديوان، ص117
[4] طرفة بن العبد: الديوان، ص31

يعبّر من خلاله عن اتّجاهه الفكري، والفنّي، واتّخذ من الخمرة وسيلةً يجسّد من خلالها إيمانه بضرورة التجديد في الشعر كما في الحياة.

وهو في الكثير من الأحيان يثور ويتسخط على نظام القصيدة القديمة ومن أشهر ذلك قوله:

لا تبكِ ليلى ولا تبك إلى هند واشرَب على الورد من حمراء كالورد

كأسا إذا انحدرتْ في حلق شاربها أجدتْهُ حُمرتَها في العين والخدّ

فالخمرُ ياقوته والكأس لؤلؤة من كف جارية ممشوقة القدِ[1]

وفي إطار هذه الثورة على منهج القصيدة القديمة ورفضه لِما لا يناسب واقع عصره، يصرّح بعيوب الأعراب وقيمهم التي تقوم على الغزو ويذم الحرب والإغارة، ويطرح ودّه لخمرته بديلا عن هذا الأسلوب في الحياة حيث يقول:

إصدع نجي الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب

فاذكر صباح العقار واسمُ به لا بصباح الحروب والعِطب

أحسنُ مِن موقف بمعترك وركضِ خيلٍ على هلا وهب

صيحةُ ساقٍ بحابسٍ قدحا وصبرُ مستكرهٍ لِمُنتحبِ[2]

ومعظم شعره في تعظيم الخمرة من هذا النوع. مما يدل على شغفه بالمذهب الشعري الجديد كما يرى طه حسين ويقول:« أراد أبو نواس أن يشرع للنّاس هذا المذهب، فجدَّ فيه ووفقّ التوفيق كلّه،

[1] ديوان أبي نواس: ص183
[2] المصدر نفسه: ص 45

و اتّخذ وصف الخمر وما إليها من اللّذات وسيلةً إلى مدح طريقته الحديثة وذمِّ طريقة القدماء. »[1]

3- الخمرة الاجتماعية والسياسية:

صوَّر أبو نواس من خِلال الخمرة أجواء عصره، وجَسَّد من خلالها مظاهر الحضارة في مجتمعه، وما أودعته تلك الحضارة في ذلك المجتمع من بذخ وترفٍ وقيان وغلمان وجوار. ولجأ مِن خلال الخمر إلى كشف سوءات مجتمعه وتعريته بأسلوبه الخاص وبوسائله التعبيرية الخاصة. ولجأ من خلالها إلى كشف الأقنعة عن تلك الوجوه التي كانت تتخذّ من الدّين والتمّسك بالأعراف ستارا تخفى تحته الرّياء والكذب والنفاق، ويرمي من خِلال ذلك إلى إعطاء صورة أمينة لبعض الأوساط الاجتماعية في زمنه، إلى جانب أنه كان يعرض أحوال خلفاء بني العباس ورجالهم الذين كانت لهم مجالسُ أنسهم وطربهم مع القيان والغلمان و شرب الخمر، بينما كانوا يتظاهرون بالتقوّى الديني والوقار الاجتماعي.

يقول في قصيدة يمدح فيها الأمين في إطار تغنيه بالخمرة ويلمح بموقفه السياسي المبطّن من الخليفة حيث يقول:

نَبِّه نديمكَ قد نَعَس يسقيك كأسا في الغَلَس

صِرفا كأنَّ شعاعَها في كفِّ شاربها قبَس

أضحى الإمام محمّد للدّين نورا يُقتبس

[1] طه حسين: حديث الأربعاء، ج2، ص90

ورث الخلافة خمسة وبخير سادسهم سَدَس

تبكي البدور لضحكهِ والسيف يضحك إن عَبَس[1]

وأبو نواس نابذ للرياء لا يحب التخفي ويكرهه ويمقت من الطبائع النفاق والتظاهر فنجده يكشف عن هذه الأقنعة ويعلن معارضته لأساليب المجتمع في التستر والنفاق والخداع. وهو لا يرى حرجا في في هذا الأمر بأن ينادي بأعلى صوته قائلا:

اشرَب- فُديتَ -علانيةْ أمُّ التستّر زانيه

اشرب فديتكَ واسقني حتّى أنامَ مكانيه

لا تقنعنَّ بسكرة حتّى تعودَ بثانيه

ودَع التستّر والرّيا ءَ، فما هُما مِن شانيه[2]

ومن وقوفه على رياء الناس وكذبهم ونفاقهم يعودُ، فيؤكد عدم اكتراثه بهم وبلومهم له، ويلحّ على الصدق وعلى المجاهدة التي يطرحها بدليلاً عن السرّية التي يكتنفها النفاق والكذب، كما يقول طه حسين: «كان أبو نواس في هذا الشعر المخالف لِلأخلاق وأصول الفضيلة، محبًا لِلأخلاق وأصول الفضيلة، كان يؤثر الصدقَ وينكر الكذبَ»[3]

حيث يقول أبو نواس:

دعني من الناس، ومن لومهم واحسُ ابنةَ الكَرم مع الحاسي

[1] الديوان: 383
[2] المصدر نفسه: ص 703
[3] طه حسين: حديث الأربعاء، ج2، ص77

فخمرة أنتَ لها رابحٌ في حالتَيْ يُسرٍ، وإفلاسِ[1]

وكلما تعمّقنا في خمريات أبي نواس نرى بأنّه قد استخدم الخمر استخداما ذكيا في التعبير عن جميع مواقفه، سواءً ما كانَ منها في السياسة أوالدّين أو الأخلاق السائدة.

4- الخمرة النفسية:

عاش أبو نواس وحيداً في عصره وما كان أحد يدرك همومه التي قد ألمت به، فاتّخذ من الخمرة وسيلة لتبديد الأحزان التي تأكل روحه؛ كان وحيداً في ذلك المجتمع الغارق في النّفاق والرّياء. وكان صعباً عليه أن يرى بأن الآمال الإنسانية تمحى شيئا فشيا في ظلّ دولة تدّعي بأنها تحافظُ على الدين والإنسانية. فما كان له أن يداوى آلامه إلاّ باللجوءِ إلى نفسه وإلى خلواته. مع محبوبته ورفيقة روحه

ولنستمع إليه وهو يردُّ على من عاب عليه معاقرة الخمرة، زاعماً أنّه خالي القلب من الهموم والأحزان، وأن الخمرة مجرّد وسيلة إلى التبذّل والعربدة، يقول:

إذا شاقك ناقوسٌ وشجوُ الناي والعودُ

وغوديتَ بريق الخمـ ـر مجّته العناقيدُ

تطرّبتَ إلى الإلفِ فقالوا أنت عربيدُ

وهل عربدَ مكروب قريحُ القلب معمودُ[2]

[1] الديوان: ص365
[2] المصدر نفسه: ص 188

كثيرة هي الأبيات التّي عبّر أبو نواس من خلالها عن عذاباته وهمومه وجَسَّدَ مِن خلالها النفسية ووارى بها أحزاناً وآلاماً لم يكن بإمكانه أن يبوح بها أو يفصح عنها. فها هو ذا، يداوي الهموم بالخمر:

إذا خطرتْ فيكَ الهمومُ فداوها بكأسك حتّى لا تكونَ هموم

أدرها وخُذْها قهوةً بابليّةً لهابين بُصرى والعراقِ كُرومُ[1]

ولم تكن الخمرة عند أبي نواس وسيلة لتبديد الأحزان فحسب. بل كانت كذلك وسيلة لكشف منابع الحسن والجمال في كلّ شيءٍ. ففيها يجمل العالم، وتحلو الطبيعة، وفيها يتجلّى جمال الدنيا وروعة الوجود. كما يقول:

لا تخشَعَن لطارق الحدثَان وادفع همومك بالشّراب القاني

أوماترى أيدي السحائب رقّشت حُلَلَ الثرى ببدائع الريحان

فإذا الهموم تعاورتْكَ فسلِّها بالرّاح والريحان والنُدمانِ[2]

وكثيرة هى الأبيات التّي دعا أبو نواس من خلالها إلى التمتّع بالعالم، وبهاء الطبيعة عبر تغنّيه بالخمرة وحثّه على الإكثار ومنها:

تعلّل بالمُدام مع النديم ففيه الرَّوحُ من كُرَب الغموم

وبادر بالصّبوح، فإنّ فيه شفاءَ السُقم للرَّجل السّقيم[3]

وقوله:

[1] الصدر السابق: ص543
[2] المصدر نفسه: ص 619
[3] المصدر نفسه: ص 545

قال ابغني المصباح قلت له اتئد حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا

فسكبت منها في الزجاجة شربة كانت له حتى الصباح صباحا[1]

ثم يصف من يشربها في الليل كأنه يعانق كوكبا ويقبله:

إذا عبّ فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا[2]

وهي صورة من صوره الفريدة الرائعة إذ جعل كاس الخمر كوكبا فارتفع بألوانها وبريقها إلى قمة الصفاء. ثم جعل من يشربها كأنه يقبل الكواكب.

« وتشبيه الخمر بالكواكب والنجوم والشمس واللآلئ والدرر والياقوت كثير في شعره وهو كثيرا ما يتصل بوصف آنية الشراب من ناحية وبألوان الخمر المختلفة من ناحية أخرى ثم بتأثيرها القوي وإشعاعها الحار ثالثا»[3]

ومن أمثلة هذه الصور قوله:

أذكى سراجا وساقي القوم يمزجها فلاح في البيت كالمصباح مصباح

كدنا على علمنا للشكّ نسأله أراحنا نارنا أم نارنا الـــراح[4]

ولا نغفل أن نذكر هذه الأبيات التي تفيض بالبهجة وترسم صورا لألوان الخمر وما يتلألأ من كؤوسها في الليل وما يعلوا هذه الكؤوس من حبب كأنه حصباء من الدرّ فوق ارض من الذهب ثم ما زينت به الكؤوس من صور لجند من الترك يرتدون شكّة الحرب ويتبارون في رمي السهام يقول:

---

[1] المصدر السابق: ص146
[2] المصدر نفسه: ص37
[3] محمد زكي العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، ص220
[4] الديوان: ص151

هلّا استعنتَ على الهمومِ بصفراءَ، من حلب الكروم

ووهبتَ للعيش الحميـ ـدِ، بقيّة العيش الذّميـــم

بمجالس فيها المزا هِرُ، والأوانس كالنجـــوم

بدءُ التحيّة بينَهُم نظرُ النديمِ إلى النديم[1]

5- الخمرة الأخلاقية والروحية:

إنها خمرة نزع إليها في أواخر حياته سلك فيها طريق الزهد. هذا النوع من خمرياته يجعل من أبي نواس واحدا من الذين وصلوا إلى ذروة المعرفة والتشبع باليقين المهمومين بأسرار الكون والحياة ظهر فيها موقفه الأخلاقي جليّا ومنها قوله:

نفس المدامة أطيبُ الأنفاسِ أهلاً بمن يحميه مِن أنجاس

وإذا خلوتَ بشربها في مجلسٍ فاكفُف لسانك عن عيوب الناس

في الكأس مشغلة وفي لذاتها فاجعل حديثك كله في الكأس

صفو التعاشُر في مجانبة الأذى وعلى اللّبيب تخيُّرُ الجُلّاس[2]

ولقد أكّد مراراً من خلال شعره الخمري على مباشرةالأتقياء والأصفياء. لذلك فقد كان يُصرُّ على أن يكون ندمانه وسقاته من خيرة الناس ومن أحسنهم أخلاقا وأفضلهم سيرةً. و في هذا الإطار تحمل خمرته بعداً أخلاقيا يجسّد من خلاله آداب المعاشرة وأخلاق الندماء. يقول:

لا تمكننّي من العربيد يشرَبُني ولا اللّئيم الّذي إنْ شمَّني قَطبا

[1] المصدر السابق: ص541
[2] المصدر نفسه: ص 385

ولا المجوسُ فإنّ النارَ ربّهُمُ ولا اليهود، ولا من يعبُدُ الصُلُبا

ولا السّفالِ الذي لا يستفيق، ولا غِرَّ الشباب، ولا من يجهل الأدبا

ولا الأراذل، إلاّ مَن يُوَقّرُني مِن السُّقاة، ولكن اسقني العربا[1]

ويقول أيضا :

ولا تسقِ المُدامَ فتىً لئيما فلستُ أحِلُّ هذى لِلّئيم

لأنّ الكَرْمَ مِن كَرْمٍ وَجُود وماءُ الكَرمْ للرّجل الكري

ولا تجعل نديمكَ في شرابٍ سخيفَ العقلِ، أودَنَس الأديم[2]

«وهكذا كانت الخمرة عند أبي نواس بما حملته من أبعاد روحية تعكس حالاته الروحية والوجدانية وتجسد عمق تفكيره وتأثره بالفلسفات والأديان»[3]

وكان الدكتور طه حسين قد وقف عند أبيات أبي نواس التي يقول فيها:

أثن على الخمر بآلائها وسمها أحسن أسمائها

معلقا عليها بقوله:« إن أبا نواس يحب الخمرة حبا ربما كان أشبه بحب الدين. كان يعبدها ويقدّسها ..ويتساءل طه حسين: أليس الشطر الأول تسبيحا للخمر؟... أليس الشطر الثاني منه تقديسا للخمر؟.... أليس يذكرك بالقرآن؟ أليس يذكرك بقوله تعالى:﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾.

[1] المصدر السابق: ص42
[2] المصدر نفسه: ص 542
[3] أحلام الزعيم: أبو نواس بين العبث والإغتراب والتمرد، ص189

انظر إلى المعنى الذي لا يعجبك في نفسه ولكنه على هذا جميل دقيق يمثل عقل ابي نواس واصطباغه بالصبغة الفلسفية التي كانت عامة في عصره»[1]

يقول أبو نواس في بيت له:

أعطني كأس سلوة عن آذان المؤذن[2]

يقول إيليا حاوي معلقا على هذا البيت:« إن الكأس التي يطلبها ليست كأس خمرة وإنما هي كأس سلوة. والفرق عظيم بين القولين بالنسبة لفهم حقيقة التجربة في نفس الشاعر. فالسلوة تعني أن الشاعر لا يشرب الخمرة للعربدة كما يبدوا في قصائد أخرى، وإنما لكي يغرق أحزانه فيها ويسلوا الشقاء الذي يعانيه»[3]

نرى في هذا النوع من خمرياته إلى أي جد قد أخذ في تناول الألفاظ تناولا وجدانيا ومن خلالها يتبيّن لنا تأثر الصوفية بابي نواس وخمرياته على سبيل المثال نورد هذين البيتين النابعين من عمق الوجدان وصفاء الروح:

اديرا عليّ الكأس ينقشع الغمّ ولا تحبسا كاسي ففي حبسها اثم

ولا تسقيان بنت عشر فإنها كما عسرت لم ينس فرقها الكرم[4]

إنّ الخمر التي تحمل هذه الطاقة الروحية العظيمة وتصل في رمزيتها واشراقاتها إلى هذا الحد البديع هي بلا شكّ خمرة خاصة وهي رمز أكثر من كونها شرابا وانّ الخمرة التي تهدم سجن الحياة وتضيء

[1] طه حسين : حديث الأربعاء، ج2، ص406
[2] الديوان: ص659
[3] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص214
[4] الديوان: ص557

مصابيح الزمن تؤلف بين الذات والعالم لم تعد شرابا عاديا أو خمرة يشربها الناس بل تتحول إلى أكثر من رمز. إلى نهج والى سبيل روحي وجداني مشرق ومضيء.

وهو في هذا النوع من الخمرة بجعلها رمزا إلى المعرفة والوصول إلى الذات العليا يضع منهجا جديدا للخمرة سيتأثر به الصوفية بعده وينهلون من تجربته الرائدة.

نماذج من خمرياته

لا يجد الباحث صعوبة في بحثه عن الخمر في شعر النؤاسي الذي يكاد ديوانه كله يكون عبارة عن خمريات متعددة الإشكال والمضامين والأغراض فهو رمز شعر الخمرة ورائدها.

واذ نورد بعض هذه النماذج الخمرية فليس لتبيان ذكر الخمر في شعر ابي نواس، فأبو نواس مقترن ذكره بالخمرة والخمرة قد اكتملت معانيها وأوصافها معه وإنما نريد من خلال هذا التعريج ان نشير ونشيد بقيمة هذه الخمرة وبمدى جودتها وروعتها وما وصل إليه عبرها النؤاسي إلى قمة في التصوير والمعاني ما تفتتن به النفوس وتطرب به وما تلمسه فيها من لذة وجمال. فهو كما يقول أنيس المقدسي: « ... ويقرن هذه الخفّة الرّوحية بجمال فنّيّ يستهوي القارئ ويستثير فيه حاسّة الطرب والإعجاب».[1]

ويقول الدكتور محمد زكي العشماوي:« لا يختلف أحد على ان شعر الخمر عند أبي نواس هو عالمه الحقيقي الذي تتجلى فيه عبقريته الشعرية وأصالته... إلى أن يقول بينما تستطيع الخمريات أن ترسم الأبعاد الحقيقية لفنّ أبي نواس ورؤيته النفسية والفكرية وتستبطن أعماقه الداخلية وتحدد لنا عالم الشاعر بدقة».[2]

ولعل المتمعن في جمال البيت التالي لا يجد إلا أن يفتتن به ويهيم فيه يقول أبو نواس:

أنا ابن الخمر مالي عن غذائها إلى وقت المنية من فطام[3]

[1] أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص120
[2] محمد زكي العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، ص212
[3] الديوان: ص589

انظر كيف بلغ تعلقه بها لحد أن جعلها أما له لا يستطيع فراقها، يرتمي على صدرها كالطفل حتى الموت، ترضعه من ثديها رضاعا لا فطام له.

ويزداد تصويره ووصفه جمالا وروعة عندما يجعل أمه كرمة العنب التي ترضعه وتحتويه وتلحقه بظلها وقت اشتداد الهجير. كما أن مساكنه وبيوته هي مساكن الخمر وبيوتها. يقول:

قطربلٌ مربعي ولي بقرى الـ كرخ مصيف وأمي العنب

ترضعني درّها وتلحقني بظلّها والهجير يلتهـب[1]

والخمر لقداستها لا تعدّ عرضا ماديا زائلا بل هي جوهر وروح.لذلك فهي تتعالى على الماء لأنها لا تلاؤمه لطافة وهي تجفوه لان طبيعتها ليست من طبيعته فهي اكثر من المادة رقة وشفافية يقول:

رقّت عن الماء حتّى ما يلائمها لطافة وجفى عن شكلها الماء

فلو مزجت بها نورا لمازجها حتّى تولّد أنوار وأضواء[2]

إن هذه الخمرة مقدسة هام بها النؤاسي فأحسن وصفها وتفنن في تصويرها فهو كما لم يتعلق بها احد قبله. لم يستطع أن يصورها ويصل إلى هذه الصورة احد قبله أيضا ولا بعده.

وقد جعل أبو نواس للخمر أضواءً ولآلئ عجز عن إدراكها غيره فجعل أيامها كلها نهارا لا ليل فيها تتوهج شموسها وأقمارها وكواكبها لان ضوءها لا يعرف أفولا ولا كسوفا يقول:

لا ينزل الليل حيث حلت فليل شرابها نهار[3]

ويقول:

---

[1] المصدر السابق: ص212
[2] المصدر نفسه: ص 07
[3] المصدر نفسه: ص 296

قال ابغني المصباح قلت له اتئد حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا

فسكبت منها في الزجاجة شربة كانت له حتى الصباح صباحا[1]

ثم يصف من يشربها في الليل كأنه يعانق كوكبا ويقبله:

إذا عبّ فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا[2]

وهي صورة من صوره الفريدة الرائعة إذ جعل كاس الخمر كوكبا فارتفع بألوانها وبريقها إلى قمة الصفاء. ثم جعل من يشربها كأنه يقبل الكواكب.

« وتشبيه الخمر بالكواكب والنجوم والشمس واللآلئ والدرر والياقوت كثير في شعره وهو كثيرا ما يتصل بوصف آنية الشراب من ناحية وبألوان الخمر المختلفة من ناحية أخرى ثم بتأثيرها القوي وإشعاعها الحار ثالثا»[3]

ومن أمثلة هذه الصور قوله:

أذكى سراجا وساقي القوم يمزجها فلاح في البيت كالمصباح مصباح

كدنا على علمنا للشكّ نسأله أراحنا نارنا أم نارنا الـــراح[4]

ولا نغفل أن نذكر هذه الأبيات التي تفيض بالبهجة وترسم صورا لألوان الخمر وما يتلألأ من كؤوسها في الليل وما يعلوا هذه الكؤوس من حبب كأنه حصباء من الدرّ فوق ارض من الذهب ثم ما زينت به الكؤوس من صور لجند من الترك يرتدون شكّة الحرب ويتبارون في رمي السهام يقول:

---

[1] المصدر السابق: ص146
[2] المصدر نفسه: ص37
[3] محمد زكي العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، ص220
[4] الديوان: ص151

ساع بكاس إلى ناش على طرب كلاهما عجب في منظر عجب

قامت تريني وأمر الليل مجتمع صبحا تولد بين الماء والعنب

كأنّ كبرى وصغرى من فواقعها حصباءُ دُرٍّ على ارض من الذهب

كأنّ تركا صفوفا في جوانبها توتر الرّمي بالنُّشاب من كـثب[1]

وفي الأبيات كما هو ملاحظ موسيقى راقصة تطالعك في الأبيات الثلاثة الأولى، وتكشف عن علاقات صوتية أحسن الشاعر استغلالها. وافلح في تطويعها للتعبير عن نشوته وإعجابه بألوان الخمر وتهلّله لأضوائها. وفي تصويره لصغرى الفواقع وكبراها بحصباء الدر على ارض من الذهب صورة فنية بديعة لا يستطيع رسمها إلا أبو نواس أما فعل الخمر وتأثيرها فهذا باب أبدع فيه أبو نواس وترك لنا فيه صورا جديدة لم يسبق إليها غيره فهي خمرة عجيبة ذات مفعول سحري فانظر إلى قوله:

دارت على فتية دان الزّمان لهم فما يصيبهم إلا بما شاءوا[2]

كما أنها قادرة على تحويل القيم فتجعل القبيح جميلا والسقيم صحيحا وتترك الطويل من العيش او الرتيب الممل منه قصيرا ممتعا يقول:

لا تلمني على التي قتلتني وارتني القبيح غير قبيح

قهوة تترك الصحيح سليما وتعير السقيم ثوب الصحيح[3]

[1] المصدر السابق: ص40
[2] المصدر نفسه: ص07
[3] المصدر نفسه: ص 147

ومن شدة تأثيرها في شاربها أنها تفقده الإحساس بالزمن فلا يحس بوطأته أو بثقله أو حتى بتتابع أيامه، كما تحرر صاحبها من قيود العقل وسيطرته والالتزام بأحكامه، وقد صور أبو نواس هذا الإحساس عندما جعل الخمر تترك من يذوقها يرى الجمعة كالسبت ويرى الليل كالنهار يقول:

تترك المرء إذا ما ذاقها يرخى الإزارا

ويرى الجمعة كالسبت وكالليل النهـــارا[1]

أمّا حرارة الخمر وشدتها في فعلها بالنفوس وقوة تأثيرها في العقل والجسد فله في هذا صور شتى. فقد جعلها لقوة فتكها بصاحبها كالوحش المفترس الذي يبطش بفريسته بعد أن ينهشها نهشا ويلقي بها مثخنة بجراحها. وليست جراحها هذه إلا الغفوات التي تصيب بها شاربها حين تسكره الخمر يقول:

صفراء تفترس النفوس فلا ترى منها بهن سوى السنات جراحا[2]

وهي خمرة تطرح الهم وتترك في النفس نشوة وتحول الأحزان إلى أفراح والكآبة إلى بهجة وتبعث الحيوية في النفس وتطلق المكبوت والمكنون. وتحل عقدة اللسان وتجعل شاربها في خفة وطلاقة.

يقول:

صفراء تسبك الهموم إذا بدت وتعير قلبك حلة السّراء[3]

[1] المصدر السابق: ص318
[2] المصدر نفسه: ص 147
[3] المصدر نفسه: ص 16

أما قدم الخمرة وعتقها: فهذه الصفة سبقه إليها الكثيرون وانتشرت وترددت في أوصاف الشعراء قبله فان لأبي نواس في هذا إضافات جديدة ، كما أن له في صور العتق تنوعا لا نجده عند غيره من شعراء الخمر فهو يجعلها أحيانا ابنة الدهر فالزمان أبوها. ومن ثمّ فهي تمتد في قدمها إلى بدء الخليقة حيث يقول:

كان لها الدهر من أب خلفا في حجره صانها ورباها[1]

ويقول في بلوغها عمر الدهر:

فهي لليوم الذي بذلت وهي ترب الدهر في القدم[2]

ويصفها أنها قطفت أو عصرت قبل حركة النجوم والكواكب أي قبل أن تدور الأرض وتتحرك الأفلاك:

تخيرت والنّجوم وقف لم يتمكن بها المدار[3]

وعند أبي نواس يصبح القدم سبيلا إلى صفاء الخمر ورقتها وتحلها إلى مضمر لطيف لا يدرك بالعين. بل يتحول لقدمه جوهرا شفافا يقول:

مازال يجلوها تقادمها حتى غدت روحا بلا جسم[4]

وهي عنده أقدم من سيدنا نوح بأزمان فقد أدركها نوح وهي في شيخوختها يقول:

---

[1] المصدر السابق: ص675
[2] المصدر نفسه: ص
[3] المصدر نفسه: ص550
[4] المصدر نفسه: ص 246

رأت نوحا وقد شمطت وشابت وقد شهدت قرونا قبل نوح[1]

إن هذه هي الخمرة الأزلية الضاربة في عمق الزمن أدرك الكثير حقيقة قدمها ولكن قل من استطاع أن يصور هذا القدم والعتق ولا ريب أن النؤاسي كان ابرز من برع في هذه الصور والأوصاف.

ومن أهم مميزات أسلوب أبي نواس انّه كان ذا قدرة هائلة على تشخيص المعاني. ذلك أن عصره كان عصر الفنّ والصّور البديعة. حيث أسرف الشعراء بالمقابلة بين الظواهر الخارجية والحالات الداخلية التي تعتري النفس البشرية. ولقد ألمّ أبو نواس بهذا البديع وظهر في شعره كميزة من مميّزاته ولعلّ التّشخيص في خمرياته كان ينزع إلى نزعة داخلية في نفسه لقوّة وشدّة قدرته على ذلك فالخمرة عنده استحالت إلى امرأة يخطبها ويتزوّجها ويعبث بها كما انّه يعطي والدها مهرا:

يا خاطب القهوة الصّهباء يمهرها بالرّطل يأخذ منها ملأه ذهبا

قصّرت بالرّاح فاحذر أن تسمعها فيحلف الكرم ألا يحمل العنبا

انّي بذلت لها لماّ بصرت بهـا صاعا من الدرّ والياقوت ما ثقبا

فاستوحشت وبكت في الدنّ قائلة يا أمّ ويحك اخشى النّار واللّهب

فقلت لا تحذريه عندنا أبدا قالت ولا الشّمس قلت الحرّ قد ذهبا

قالت فمن خاطبي هذا فقلت انأ قالت فبعلي قلت الماء إن عذبا[2]

إننا نجد أنفسنا نغرق في هذه اللوحة التي يرسمها أبو نواس ونكاد نشك في كونه يخاطب جمادا.

[1] المصدر السابق: ص157
[2] المصدر نفسه: ص 42

إنّ قوة التشخيص في هذه المقطوعة ترسم لنا الخمرة ككائن بشري سوي فهي تستوحش وتبكي وتترجى، وتتساءل عمّن يخطبها. يقول إيليا حاوي:« لا شكّ أن هذا القول فيه كثير من حيل البلاغة. إلاّ أن هذا التخاطب بين الشاعر والخمرة لم يسلف قبلا ولم نكد نشهد له مثيلا في شعر سواه».[1]

ومن مظاهر التّجديد في أسلوب أبي نواس اعتماده على الحالات النفسية في تشابيهه. فهو إذا ما اعترته حالة تحت تأثير الخمرة يشبّهها بحالة أخرى شعر بها في نفسه. وقد نجد شيئا من هذا في البيت التالي:

وتمشّت في مفاصلهم كتمشّي البرء في السقم[2]

فالبرء والسقم معنيان مجرّدان. وقد شبّه تمشّي الخمرة في المفاصل بتمشّي الدّواء فيها. وهذه الميزة تكاد تخصّ العصر العباسي وشعراءه من دون سواهم لأنّ العباسي أصبح قادرا على تداول الأفكار والمعاني المجرّدة كما يتداول الأشياء الحسّية فهو يقول في قصيدة أخرى:

اسقنا إنّ يومنا يوم رام ولرام فضل على الأيّام

من شراب ألذ من نظر المعـ شوق في وجه عاشق بابتسام

لا غيظ تنبوا الطبيعة عنه نبوّة السّمع عن شنيع الكلام[3]

[1] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب ، ص283/282
[2] الديوان: ص537
[3] المصدر نفسه: ص 540

إنّ الشاعر غدا يشبّه لذّة طعم الشراب بلذّة نظر المحبِّ إلى محبوبه. والواقع أن لذة الخمر هي لذّة مذاق بينما لذّة العشّاق هي لذّة نظر وقد نزع الشّاعر من حاسّة إلى أخرى جامعا بينهما في وحدة التأثير النّفسي وهكذا فإنّ الشّاعر اعتمد النفس كمصدر للتّشبيه.

ولا عجب أن يبلغ النؤاسي كل هذا المبلغ فهو الذي افتتن الدّاني والقاسي بشعره وهو من بزغ نجمه ليطمس نجوم الشّعراء العرب قبله وهو الذي اسر الدنيا شعرا حتّى أرغم خصومه على الاعتراف بفضله وقدرته ونبوغه.

الفصل الثالث

"خمريات ابن الفارض"

❖ **تمهيد**

❖ **المبحث الأول:**

- التعريف بابن الفارض
- أصله ومولده وكنيته
- نشأته
- عصره
- مكانته في عصره
- وفاته
- ديوانه وأدبه

❖ **المبحث الثاني:**

- خمرياته
- نبذة عن رمز الشعري الصوفي- رمز الخمر
- خمرياته: من الناحية الشكلية
- من ناحية المضمون
- نماذج من خمرياته

تمهيد:

لا يسعنا ونحن في خضم الحديث عن شعر الخمرة وروّاده وأبعاده أن نتجاهل ونغض الطرف عن الخمرة الروحية الصوفية. فالشعر الخمري الروحي قد تمخض من الشعر الخمري المادي وشعراءه استلهموا معانيهم من شعراء الخمرة المادية. فالتعابير المستخدمة عند الصوفيين نفسها عند الماديين. وهم وان ذهبوا مذهب القدماء في الألفاظ والأوصاف إلا أن المضامين عندهم تجاوزت الحس واتصلت بالذات العليا وأغرقت في القداسة والربانية.

ومن أشهرهم ابن الفارض سلطان العاشقين في الحب الإلهي.الشاعر الصوفي العلم الكبير.

وبغض النظر في ألفاظ خمرته المادية التي هو متأثر فيها بالشعراء قبله فهو في ضروب أخرى من خمرياته مبدع مجيد. أعطى للخمرة طاقتها الفنية البيانية للتعبير عن الحالات الروحية عند الصوفية. لقد قام بإكمالها وأعطاها دلالتها التعبيرية عن الحب الإلهي والمعاني الروحية في خمريته المشهورة. وفي الحقيقة أنه الم بالشعر الخمري وأجاد فيه فهو من بدا تأثره بأبي نواس واضحا من الناحية اللفظية وساق تعابيره وجاراه في أوصافه وصوره.

المبحث الأول: التعريـــف بابـن الفـارض

أصله ومولده وكنيته:

تعددت الروايات في تعريف ابن الفارض إلا أن الاختلاف ليس كثيرا بينها ومن بين أهم هاته التعاريف نورد:

ترجمة ابن الفارض للزركلي: « هو عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدّار والوفاة. أبو حفص وأبو القاسم شرف الدين ابن الفارض»[1]

وجاء في ديوان ابن الفارض لمهدي محمد ناصر الدّين: « هو عمر بن الحسين بن علي بن المرشد بن علي شرف الدين أبو حفص الحموي الأصل. ولد بالقاهرة في الرابع من ذي القعدة سنة 576هـ الموافق للعام 1181م وقدم أبوه من حماة في بلاد الشام إلى مصر فأقام فيها»[2]

جاء في شرح ديوان بن الفرض الذي جمعه الفاضل رشيد بن الغالب: « أنه لما انتقل أبوه إلى مصر وأقام فيها ولد له "عمر" فنشأ بمصر في بيت علم وورع. ولما شبّ اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره. ثمّ حبّب إليه سلوك طريق الصوفية فتزهد وتجرّد وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة في خرابات القرافة بالقاهرة وأطراف جبل المقطم. وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج. فكان يصلي بالحرم وكثر العزلة في واد بعيد عن مكة وفي تلك الحال نظم اكثر شعره. وعاد الى مصر بعد خمسة عشر عاما. فأقام بقاعة الخطابة بالأزهر وقصده النّاس بالزيارة

---

[1] الزركلي: الأعلام ج5، ص55

[2] مهدي محمد ناصر الدين:ديوان ابن الفارض، ص03

حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته. وكان جميلا نبيلا، حسن الهيئة والملبس. حسن الصحبة والعشرة، رقيق الطبع، فصيح العبارة،سلس القياد، سخيّا جوادا. وكان أيام ارتفاع النيل يتردد إلى مسجد في الروضة يعرف بالمنتهى، ويحب مشاهدة البحر في المساء، وكان يعشق مطلق الجمال، ونقل المناوي عن القومي أنه كانت للشيخ جوار بالبهنسا، يذهب إليهن فيغنّين له بالدّف والشبابة وهو يرقص ويتواجد، قال المناوي: "ولكل قوم مشرب ولكل قوم مطلب وليس سماع الفساق كسماع سلطان العشاق". وقال الذهبي: كان سيد شعراء عصره وسيد شعراء الاتحادية وما ثم إلا زي الصوفية وإشارات مجملة، وتحت الزّي والعبارة فلسفة وأفاعي.»[1]

كنيتـــــه:

ثبت في الروايات أنّ أصل تسميته بابن الفارض يرجع إلى أن لقب الفارض أطلق على أبيه لأنه حين أقام في مصر كان يكتب فروض النّساء على الرجال ويثبتها بين أيدي الحكام: « وصار يثبت الفرو ض للنساء على الراجل بين يدي الحكّام. ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض»[2] وجاء في ديوان ابن الفارض لمهدي محمد ناصر الدين:« قدم أبوه من "حماة" في بلاد الشام إلى مصرَ، فأقامَ فيها وكان يثبت الفروض للنّساء على الرجال بين أيدي الحكّام،فلقّب بالفارض وهناك رُزِق بولده عُمَر، ولذلك سُمّي بابن الفارض المنعوت بشرف الدين والملقّب بسلطان العاشقين.»[3]

---

[1] شرح ديوان ابن الفارض: شرح البوريني والنابلسي،ص04

[2] المصدر نفسه: ص 04

[3] مهدي محمد ناصر الدين: ديوان بن الفارض، ص03

وجاء في ديوان ابن الفارض الصادر عن "دار صادر بيروت" أنه:« عرف بابن الفارض لأن أباه على ما يظهر من هذا اللقب كان يكتب فروض النساء على الرجال.»[1]

نشـــأته:

كانت إقامته في مصرَ بحكم إقامة والده « حيث كان في أوّل صباه،يستأذن والده ويذهب إلى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من المقطّم ويأوي إليه ويقيم في هذه السياحة ليلاً قدم أبوه من "حماة" في بلاد الشام إلى مصرَ، فأقامَ فيها وكان يثبت الفروض للنّساء على الرجال بين أيدي الحكّام،فلقّب بالفارض وهناك رُزِق بولده عُمَر، ولذلك سُمّي بابن الفارض المنعوت بشرف الدين والملقّب بسلطان العاشقين.ونهاراً، ثمّ يعود إلى والده كيلا يخالف أوامره. فكان والده يجبره على الجلوس في مجالس أهل العلم،يتزوّد منهم بلطائف المعارف وحقائق العلوم، وكانت نفسه تشتاق دوماً إلى العالم العلوي، والحضرات القدسية والأسماء الربّانية، فنشأ زاهداً،عابداً، متصوفاً.»[2]

وأمّا حنينه إلى الحجاز، فيعود لوجود المقامات والحضرات المحمدية في تلك الربوع، وكيف لايصبو إليها وقد تعلّقت نفسه بهذه المقامات، حتى كاد لسانه لايتلفّظ إلّا بها وقد كان يشتاق دائماً للوصول إلى مكة وشعابها، وإلى الحجاز وركّابها،لكنّ الله لم يفتح عليه إلّا بعد وفاة والده في مصر. «فحصل ذلك لِشيخنا إثر التقائه بشيخ بقّال عند دخوله ا لمدرسة السيوفيّة بالقاهرة،إذ وجدَ ذلك الشيخَ على باب المدرسة، وكان يتوضّأ بوضوء غير مرتّب .فقال له :يا شيخ أنت فى هذا السن ،على باب المدرسة

---

[1] ديوان ابن الفارض: ص05

[2] مهدي محمد ناصر الدين: ديوان ابن الفارض، ص03

بين فقهاء المسلمين وتتوضأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعى ؟فنظر إليه وقال:يا عمر أنت ما يفتح عليک فى مصر،إنما يفتح عليک بالحجاز،فى مكة،شرفها الله تعالى،فاقصدها،فقد آن لک وقت الفتح. فعلم أن الرجل من أولياء الله ،وإنه يتستر بالمعيشة وإظهار الجهل بلا ترتيب الوضوء،فجلس بين يديه وقال له:يا سيدى أين أنا وأين مكة؟ لا أجد ركباً ولا رفقة فى غير أشهر الحج.فنظر الشيخ إليه وأشار بيده وقال:هذه مكة أمامک . يقول ابن الفارض: فنظرت معه فرأيت مكة، شرفها الله،فتركته وطلبتها فلم تبرح أمامى إلى أن دخلتها فى ذلک الوقت، وجاءنى الفتح حين دخلتها فترادف ولم ينقطع. ثمّ شرعت فى السياحة في أودية مكة وجبالها وكنتُ أستأنس فيها بالوحوش ليلاً ونهاراً»[1]

أقام في مكّة وشعابها خمس عشرة سنة، ثمّ عاد إلى مصر وهناك أيضا قصة في كيفية رجوعه إليها، تشبه بكيفية رحلته منها: إذ يسمع صوت ذلك الشيخ البقّال يقوله له: «يا عُمَر، تعال إلى القاهرة، احضر وفاتي وصلِّ عَليّ. فيعود شيخنا، عُمَر، إلى القاهرة ويحضر على جنازته.»[2]

عصـــــره:

نشأ ابن الفارض في عصر الأيّوبيّين وهو عصر تنازع النفوس، وفيه عاملان مختلفان: الأوّل هو عامل التصوّف والتّقوى، لدوام الحروب وتوالي الكروب، والثاني هو عامل الفسوق والمجون لانحلال الأخلاق

[1] شرح ديوان ابن الفارض: ص05

[2] المصدر نفسه: ص 05

وتحكّم الشهوات. فاتّجه الشعر في مصر وغير مصر إلى هاتين الوجهين وكما شاهدنا، قد نشأ ابن الفارض نشأة دينيّة وربّي تربية صوفية.

مكانته في عصـــــره:

« وعن منزلته في عصره، يقول حفيدهُ، ابن بنته . الشيخ عليّ . رحمهما الله: كان إذا مشى في المدينة، يزدحم الناس عليه، يلتمسون منه البركة والدعاء، ويقصدون تقبيل يده فلا يمكن أحداً من ذلك، بل يصافحه، وكانت ثيابه حسنة ورائحته طيّبة، وكان إذا حضرَ في مجلسٍ،يظهر على ذلك المجلس سكون وهيبة، وسكينة ووقار. ورأيتُ جماعة من مشايخ الفقهاء والفقراء، وأكابر الدولة من الأمراء والوزراء، والقضاة ورؤساء الناس يحضرون مجلسه، وهم في غاية ما يكون من الأدب معه، والاتّضاع له، وإذا خاطبوه فكأنّما يخاطبون ملكاً عظيماً، وكان ينفق على من يردّ عليه نفقة متسعة، ويعطي من يده عطاء جزيلاً، ولم يكن يتسبّب في تحصيل شيءٍ من الدنيا، ولا يقبل مِن أحدٍ شيئاً.»[1]

وفاتـــــــــه:

«أمّا قصّة وفاته، فقد ذكرها سبطه الشيخ عليّ، كما يلي: كانَ الشيخ، رضي الله عنه، يتردّد إلى المسجد المعروف "بالمشتهى"في أيّام النيل، ويُحبّ مشاهدة البحر، فتوجّه إلى "المشتهى" يوماً، فسمع قصاراً يقصر ويضرب مقطّعاً على حجرٍ ويقول: قطعَ قلبي هذا المقطّع، ما كان يصفوا أو يتقطّع. فمازال الشيخ يصرخ ويكرّر هذا السجع، ساعة بعد ساعة، ويضطرب اضطراباً شديداً، ويتقلّب على الأرض، ثم يسكن اضطرابه،حتّى يُظَنَّ أنّه قد مات، ثم يستفيق ويتكلّم معنا بكلامٍ لَدُني، ما سمعنا

---

[1] مهدي محمد ناصر الدين: ديوان ابن الفارض، ص09

مثله قطّ، ولانحن أن نعبّر عنه، ثمّ يضطرب على كلامه ويعودُ إلى حال وجده،ودخل إلينا رجلٌ من أصحابه، فلمّا رآه وشاهد حاله، قال:

أموتُ إذا ذكرتكَ، ثم أحيا

فكَم أحيا عليكَ وكَم أموتُ

فوثبَ الشيخ قائماً واعتنقه، وقال له: أعِدْ ما قلتَ. فسَكَتَ الرجلُ شفقة منه عليه، وسأله أن يرفق بنفسه، وذكر له شيئاً من حاله عند غلبة الوجد عليه، فقال:

إنْ ختمَ اللّهُ بغفرانه فكلّ ما لاقيتُه سهلٌ

ولم يزل على هذه الحال من حينَ سمعَ كلام القصّار إلى أن توفّي رحمة الله عليه.»[1]

وكانت وفاة سلطان العاشقين، شرف الدين عمر بن الفارض «في العام الثاني وثلاثين بعد المائة السادسة للهجرة (632 هـ) الموافق العام 1234 للميلاد، ودفن في سفح جبل المقطّم في مكانٍ يُدعى اليوم، قرافة ابن الفارض، ومازال قبره حتى الساعة مزاراً يزدحم بأفواج المؤمنين.»[2]

ديوانـــه وأدبـــه:

ديوانـــه: شغل ابن الفارض بالشعر نحو أربعين سنة وذلك أمد طويل، ولكن قيمة شعره بقيمة معانيه وليس بقيمة ألفاظه. «فهو من حيث الديباجة والسبك شاعر ضعيف ولكنّه من حيث المعاني

---

[1] المصدر السابق: ص11/10

[2] المصدر نفسه: ص 11

فحلٌ من الفحول. لأنّه استطاع الجمع بين الحقيقة والخيال. فالحقيقة عند هذا الشاعر، هي الصورة الروحية، وأمّا الخيال فهو الصورة الحسيّة التي رمز بها إلى المعنويات.»[1]

ترك ديوانا صغيرا يحتوي على: 1861 بيتا من الشعر. وأشهر ما في ديوانه "التائية الكبرى" وهي قصيدة طويلة تقع في 761 بيتاً من الشعر، ضمّنها الشاعر تجاربه الصوفية، والتدرّج في سُلّم الكمال الروحي حتى الفوز بمشاهدة الجمال الإلهي.

أدبـــه: نشأ ابن الفرض نشأة دينية وتربى تربية صوفية وأصبح: « رجل التوحد والانطلاق الروحاني. سبيله في الحياة أن يتجرد من الجسد والمادّة، وأن يصعد في مدارج العلاء سعيا وراء مشاهدة الله والفناء فيه. وراح يصب معانيه في قالب غزلية وخمرية»[2]

ففلم يكن له من بدّ من سلوك طريقة القوم في شعره، ينظم إشاراتهم، ويصف مقاماتهم، ويكثر في نعت الخمر وذكر الغزل مريدا بذلك الذّات الإلهية . فكان بذلك موجد الطريقة الرمزية في الشعر العربي. وهو من أكثر الشعراء تعمّدا للكلام وتكلفا للبديع وولوعا بالجناس والطباق.

---

[1] زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ص247

[2] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، 860

المبحث الثاني: خمرياتـــه

قبل أن نلج إلى عالم خمريات ابن الفارض تتوجب علينا الإشارة إلى الرمز الصوفي وإلى رمز الخمر بصفة خاصة. حتى تتضح أمامنا الأمور وتسهل الدراسة فخمريات ابن الفرض تتسم بطابعها الصوفي الذي يعتمد الموز والتأويلات والدلالات العرفانية التي تتجرد فيها النفس عن الماديات والأحاسيس الدنيوية لتأخذ في الاسترسال مع الذات العلية. فالتصوف كما ورد في تعريف بسيط لـ"جعفر الخلدي" المتوفى: 348هـ. يقول: «التصوف طرح النفس في طريق العبودية، والخروج من البشرية والنظر إلى الخلق بالكلية.»[1]

الرمز في الشعر الصوفي : جمعت التجربة الصوفية بين نوعين من الرمزية: الرمزية الأسلوبية بما تتضمنه من صور بيانية وخيالية وبديع وبيان ولوحات كلية، ورمزية موضوعية تتناول موضوعات الصوفية وفلسفاتهم عن الحب الإلهى والخمر والكون والاغتراب ووحدة المعرفة والنفس وغير ذلك. والذى يعنينا هنا مناقشة النوع الثانى أي الرمزية الموضوعية ومعرفة أبعادها وكيفية توظيف شعراء الصوفية لها لخدمة أغراضهم ومعتقداتهم.

ارتبط الرمز عند شعراء الصوفية فى القرن السابع بالتجربة الصوفية التى عاشوها وورثوا فكرها من السابقين عليهم، فنبت فى تربتها وجمع خلاصة مغزاها وفلسفتها فوجدت فيه هي الأخرى حياتها ومنفذ التعبير الأهم عن مكنون أسرارها التى لا يجب أن يطلع عليها غير أهلها، فاتخذوا الرمز والتلويح وسيلة لذلك كما يقول ابن الفارض:

---

[1] محمد علي أبو ريان: الحركة الصوفية في الإسلام، ص23

وعنى بالتلويح يفهم ذائــق غنى عن التصريح للمتعنت

بها لم يبح من لم يبح دمه وفى الإشارة معنى والعبارة حدت[1]

ويعلن ابن الفارض أنه اعتمد على الإشارة والرمز بدلاً من لغة المباشرة والتصريح، يقول:

وأسماء ذاتي عن صفات جوانحي جوازاً لأسرار بها الروح سرت

رموز كنوز عن معاني إشارة بمكنون ما تخفى السرائر حفت[2]

ويقول:

أشرت بما تعطى العبارة والذي تغطى فقد أوضحته بلطيفة[3]

فالأبيات تشير إلى أن استخدامه للرمز والإشارة بدلاً من التصريح والعبارة، لإخفاء أسرار لا يجب البوح بها، بالإضافة إلى أن العبارة عاجزة عن التعبير عن مقدار المعارف العميقة.

الرمــز الخمري: إن الخمر الصوفي وليد الخمرة المادية وسليلها تمخض عنها وأخذ عنها أساليبها وتعابيرها فالخمر الصوفي لم يأت من عدم ولم يولد من فراغ بل هو نتاج عصور طويلة من الإبداع الشعري تطور فيها تدريجيا ولعله استوفى صوره النهائية وكمل نضجه مع العصر العباسي ومع النؤاسي خاصة.

---

[1] ابن الفارض:الديوان ص83

[2] الصدر السابق: ص97

[3] المصدر نفسه: ص 92

« وتهدي هذه الحقيقة إلى الخمريات الصوفية. لم تبدأ من فراغ خالص، وانما استلمهت ذلك التراث الهائل من الشعر. استلهمت صوره وأخيلته وأساليبه ولم تستلهم ماحفل به من مجون وإباحية.»[1]

« عبر الصوفية بأشعار مرموزة استعاروا أساليبها من الخمريات التي كانت قد بلغت تمام نضجها في العصر العباسي»[2]

ولا نكاد نتكلم عن الخمر الصوفي حتى نتكلم الرموز والإيحاءات يقول كروم بومدين: «إن البحث في مصطلح الخمر من حيث استعماله في التعبير الصوفي، هو بحث في الرمز الصوفي. ذلك أن الصوفية قد اتخذوا من أسماء الخمر ومشتقاتها وأشيائها ومجالسها وصفاتها وأحوالها رموزا عبروا بها عن تجربتهم الرّوحية»[3]

ويضيف:«...فليست الألفاظ والقوالب الشعرية الخمرية في الشعر الصّوفي إلا رموزا دالة على معان وأحوال، فهي ثمرة التجربة الصوفية لا التجربة المادية.»[4]

من هذه التعاريف والتمهيدات تتشكل لدينا صورة عن الشعر الخمري وتتضح لنا الرؤيا حتى نتمكن من الولوج إلى عالم خمريات بن الفارض المليء بالرموز والإيحاءات التي قد يحيل للجاهل بها أنها لا تعدو على خمرة مادية مجردة.

---

[1] نصر عاطف جودة: الرمز الشعري عند الصوفية، 339

[2] المرجع نفسه: ص357

[3] كروم بومدين: الشعر الصوفي دراسة موضوعاتية في شعر الششتري،ص50

[4] المرجع نفسه: ص51

وحديثنا عن الخمر الصوفي سيكون مع الرائد والعلم في هذا المجال أبي حفص عمر بن الفارض الذي صوّر نشوته بالحب الإلهي بصور خمرية فاتخذ نفس لغة شعراء الخمر السابقين بما تحتي عليه من دنان وسقاة وكؤوس.والحقيقة أنه لا شيء من ذلك.

خمريات بن الفارض من ناحية الشكل:

لقد جارى بن الفارض في خمرياته شعر الخمر عند سابقيه ولعلّ التأثر بأبي نواس جدّ باد في أسلوبه وعباراته فانه لا يخفى كيف تأثّر شعراء الصوفية بأبي نواس خاصة ابن الفارض الذي تأثر به من الناحية اللفظية تأثرا شديدا بحيث لا يكاد يأتي بشيء جديد من ناحية الألفاظ بل انه اتخذ نفس الألفاظ والتعابير التي استخدمها أبو نواس في خمرياته.

فلا يكاد القارئ يقع على شيء جديد في القصيدة الصوفية الخمرية فلقد اقترض عمر بن الفارض ألفاظ سابقيه ووظفها ضمن سياقات لا تختلف عن الأولى عند غيره. فهي خمرة وصف فيها الكؤوس والنديم والدنان مثل أي خمرة قبله.ويبقى الفرق من ناحية المعاني والمضامين.

خمرياتـه من ناحية المضمون:

خمرة ابن الفارض خمرة صوفية محضة اتسمت بمضمونها الواحد ودلالتها الموحدة إنها خمرة الحب الإلهي.

خمرة ابن الفارض لا نجدها تتنوع أو تتعدد فابن الفارض شاعر صوفي صريح لم ينتق ل بين الأغراض الشعرية المختلفة. وان ظهر ذلك شكلا فهو إنما كان يستخدم الرمز للوصول إلى غايته القصوى، والاسترسال في مناجاة الذات الإلهية ومحاولة الصعود والترقي بالنفس والتجرد من عوالق الدنيا.

فخمرته كلها كما هو كل شعره، ذات موضوع واحد، انه الحب الإلهي الذي هام فيه بن الفارض وعبر عنه بكل طاقته وأساليبه

فخمرته كلها جاءت رمزا تعمّد فيها الغموض والإشارات، وان بدت تجاري خمرة الأولين لما حملته من أساليبهم وعباراتهم.

إن الخمرة في شعر ابن الفارض. رمز على المحبّة الإلهية بوصفها أزلية قديمة، منزّهة عن العلل المجرّدة عن حدود الزمان والمكان، وهذه المحبّة في الأسرار العرفانية هي التي بواسطتها ظهرت الأشياء، وتجلّت الحقائق وأشرقت الأكوان، وهي الخمرة الأزلية الّتي شربته الأرواح المجرّدة فانتشتْ وأخذها السكر واستخفّها الطرب قبل أن يُخلق العالم، على حدّ قول ابن الفارض في ميميّته المشهورة الّتي تتكّون من واحد وأربعين بيتاً :

شَربنا عَلى ذكر الحبيبِ مُدامةً سَكِرنا بها، مِن قبل أن يُخلَقَ الكَرْمُ[1]

إن هذه الخمرة الأزلية ليست تحتوي إلا على مضمون واحد ولا تتعدّاه مطلقا إنها الخمرة الروحية التي لا يريد بها إلا القرب والمحبة ولقد أشار النابلسي في شرحها إلى ذلك بقوله:

«اعلم أنّ قصيدته مبنيّة على اصطلاح الصوفية فإنّهم يذكرون في عباراتهم الخمرة بأسمائها وأوصافها،ويريدون بها ما أدار اللّه على ألبابهم من المعرفة أومن الشوق والمحبّة،والحبيب في عبارته، عبارة عن حضرة الرسول عليه الصلاة والسّلام وقد يريدون به ذات الخالق القديم جلّ وعلا.»[2]

---

[1] الديوان: ص140

[2] شرح الديوان: ج2. ص245

فحقيقة الخمرة في شعر ابن الفارض كما في شعر غيره من الصوفيين إنما هي رمز ووسيلة استخدمها لبلوغ قصده وغايته.

يقول الدكتور عبد العلي بشير: «ويلوح الصوفية بالمدامة إلى المحبة الإلهية، وهي عندهم علة الوجود وسره الأول ومبدأ الخلق حيث كانت الذات الإلهية كنزا مخفيا، فلما أحب الله أن يعرف خلق الخلق فيه فعرفوه.وقد أشار ابن الفارض إلى هذا المعنى، فذكر الخمرة بأسمائها وأوانيها "حميا، المدامة، الكأس، القدح...." ولكنه يريد ما أدار الله به على لبه من المعرفة أو الشوق، وقد يريد بها ذات الخالق القديم لأنه تعالى أحب أن يعرف»[1]

يقول بن الفارض عن هذه الخمرة:

وقالوا: شربتَ الإثمَ! كلّا، وإنّما شربتُ الّتي، في تركها عنديَ الإثمُ

هنيئا لِأهلِ الدير! كم سكروا بها وما شربوا منها، ولكنّهم همّوا[2]

إن هذه الخمرة التي تحمل طاقة روحية وربانية عظيمة تترفع عن كل الدنايا وتتجرد من كل الأحاسيس هي خمرة جدّ خاصة وهي رمز أكثر من كونها شرابا.

وخلاصة القول عن خمرة ابن الفارض أنها خمرة صوفية عرفانية محضة لم تتعدد مضامينها ولم تخدم إلا الموضوع الواحد الذي عاش لأجله ابن الفرض عمره وأفنى فيه حياته. هي الخمرة الروحية ذات

---

[1] عبد العلي بشير: تحليل الخطاب السردي والشعري، ص164

[2] الديوان: ص143

القداسة والنورانية التي لا تعتريها الماديات. فهو يجعل هذه الخمرة رمزا للمعرفة ومطية للوصول الى الذات العليا ليصبح رائدا للمتصوفة في هذا المجال.

نمـاذج من خمرياتـــه:

إذا كان الشعراء السابقون وقفوا عند ظاهر الخمر ولم يتعمقوا في بواطنها، فان شعراء الصوفية لم يقفوا عند السطح وتوغلوا إلى حقيقة السكر والخمر، حيث أعملوا فيهما الخيال ومزجوهما بالذوق الصوفي، وبثوا فيهما مواجيدهم وأذواقهم، حتى صار وصفها ترجمة لحياتهم الروحية ورمزاً للمحبة الإلهية.

ونحن إذ نتحدث عن الخمرة الصوفية مع ابن الفارض لن نعدم الأمثلة فهو صاحب الخمرية الذائعة الصيت ولقد مثل الخمر ورمز الخمر في شعره حيزا واسعا ورغم قلة موروثه الشعري إلا أن خمرته مكتملة الأوصاف والمعاني استوفت جميع الصور والاوصاف للخمرة الشعرية. يقول الدكتور نصر عاطف جودة: «ولشرف الدين عمر بن الفارض قصيدة خمرية ذائعة تعد بحق نموذجا لاكتمال الرموز الخمرية في الشعر الصوفي بشكل عام»[1]

وسنقف في هذا الباب مع بعض الأمثلة والشواهد من شعر ابن الفارض في هذا المجال.

يقول ابن الفارض:

سقتني حميا الحب راحة مقلتي وكأسي محيا من عن الحسن جلت

فأوهمت صحبي أن شرب شرابهم به سر سرى في انتشائي بنظرة

وبالحدق استغنيت عن قدحي ومن شمائلها لا من شمولي نشوتي

[1] نصر عاطف جودة: الرمز الشعري عند الصوفية، ص366

ففي حان سكري حان شكري لفتية بهم تم لي كتم الهوى مع شهرتي[1]

هذه الأبيات الرائعة من القصيدة التائية المطولة لابن الفارض. حيث نجده يستخدم فيها نفس ألفاظ الخمر الحقيقية من شراب وحميا وقدح وشمول وحال سكر وصحو. ولكنه يلجا إلى تراسل الحواس حيث تأخذ عينه صفة كفه التي تسقيه خمر المحبة الإلهية حيث تنعمت في الجمال الإلهي، فسرى أثر الخمر في عروقه وشعر بنشوته وصارت روحه المحبوبة كأسه الذي يشرب منه، فأخذه وأفناه حتى أوقع أصحابه في الوهم لعدم إدراكهم لأنهم من عشاق الصورة، فكأن الجمال شراب والحب حمياه.وهذا كله موهبة من عند الله تعالى.

ولا يكاد يتضح مفهوم الأبيات حتى يسترسل ابن الفارض معقبا عليها بأبيات أخرى يهيم بها في الحب ويبرر شغفه وولعه:

ولما انقضى صحوي تقاضيت وصلها ولم يغشني في بسطها قبض خشيتي

وأبثثتها ما بي ولم يك حاضري رقيب لها حاظ بخلوة جلوتي

وقلت وحالي بالصبابة شاهد ووجدي بها ماحي والفقد مثبتي

هبي قبل يفنى الحب منى بقية أراك بها لي نظرة المتلفت

ومني على سمعي، بل إن منعت أن أراك فمن قبلي لغيري لذت[2]

---

[1] الديوان: ص46

[2] المصدر السابق: ص46

إنه هنا يواصل ويسترسل بعدما ذهب صحوه. مكنه سكره من المباسطة مع الحق فأخبره بما أصابه من أثر العشق والهيام بالمحبوبة التي عاهدها بالولاء والإيمان يوم الصحو الميثاقي في عهد الربوبية الأزلي.

ونلاحظ أن هذه الأبيات جاءت مثقلة بالمصطلحات الصوفية التي اندرجت في السياق فانطبعت عليها روح الرمز مثل: السكر، الصحو، السر، النشوة، البسط، القبض، الخلوة، الجلوة، الصبابة، الوجد، المحو، الفقد، الإثبات، الفناء، الحضور، الشرب، الوهم. فكلها مصطلحات تشير إلى أحوال شريفة يعيشها الصوفي في تجربة الارتقاء لدرجة وصوله إلى النشوة والسكر.

وهكذا تقترن رمزية الخمر عند بن الفارض بالحب الإلهي الذي ملك عليه كيانه وكذلك بالمعرفة والفيوضات الإلهية التي وردت على قلبه فأعقبت إبداعا ذا قيمة كان يأتيه في الغالب بعد صحوه من غيبته وسكره بغير مدامة.

وقد تجلت موهبة بن الفارض الفنية وقدرته على صياغة الرمز الشعري من الخمر المادية في قصيدته الميمية التي تعدّ بحق أروع ما كتب في الشعر الخمري الصوفي على الإطلاق.

إننا بهذه القصيدة نحكم على بن الفارض أنه شاعر بحق لا مجد صوفي يحسن التعبير ويصور مراحل ارتقاءه ويرسم طريقه وعروجه. فهو هنا يضع رمزه الشعري في تصوير بديع. ويقدم عملا مكتمل البناء، فقصيدته ذات موضوع واحد من مطلعها إلى نهايتها يتكلم فيها عن الخمر وأوصافها.

يقول:

شَربنا عَلى ذكر الحبيبِ مُدامةً سَكِرنا بها، مِن قبل أن يُخلَقَ الكَرْمُ

لَها البَدرُ كأسٌ، وهي شمسٌ، يُديرها هلالٌ، وكم يبدو إذا مُزِجتْ نَجْمُ

ولولا شَذاها ما اهتديتُ لِحانِها، ولولا سناها ما تصوّرها الوَهْمُ

ولَمْ يُبقِ منها الدهرُ غيرَ حُشاشةٍ، كأنّ خفاها، في صدور النُّهى، كَتْمُ[1]

من بداية هذه القصيدة لا يستطيع القارئ إلا أن يحكم عليها بأنها فى وصف الخمر المادية؛ لما يرى من صفاتها المتبدية من خلال الأبيات، إلا أن القصيدة تبدأ بتصوير الخمر فى صورة أسطورية رمزية محملة بمعان وإيحاءات عميقة، حيث يرمز بها إلى المحبة الإلهية بوصفها أزلية قديمة، منزهة عن العلل، مجرده عن حدود الزمان والمكان.

انه يبدأها بالحبيب الذي كان حبه في قلب الشاعر قبل أن يخلق العالم فهو حب عريق ولننظر إلى البيت التالي كيف يصفها وكأنها مفتاح كل قفل ودواء كل داء:

وإن خَطرتْ يوما على خاطر امرئ أقامتْ به الأفراحُ، وارتحلَ الهمُّ[2]

وبعد أن يوضح الشاعر بعض طبيعة هذه الخمرة يبدأ في وصفها بوصف فريد نابع من خصوصية هذه الخمرة الإلهية. وأيضا خصوصية الحال التي تتلبسه ساعة الإبداع

يقول:

يقولون لي: صِفها فأنت بوصفها خبيرٌ أَجَلْ عندي بأوصافها علمُ

صفاء ولا ماء، ولطفٌ ولا هوا، ونور ولا نارٌ وروح ولا جسمُ[3]

إنها خمرة لا يدركها الكثيرون وقد لا يعرف وصفها غيره فهو الخبير الشارب المنتشي بها

---

[1] المصدر السابق: ص140

[2] المصدر نفسه: ص141

[3] المصدر السابق: ص142

لقد برع بن الفارض في وصف خمرته التي جارى بوصفها خمرة من سبقوه من الماديين. وفي هذا يقول الدكتور أمين يوسف عودة: «ولقد برع الصوفية كأسلافهم في مضمار هذا الفن فاحتفلوا بتشبيه فعل الخمرة فيما تورثه من نشوة وسكر وطرب في النفس، محاسن الحبيب من آثار اللذة والجمال في نفس المحب، حتى ليستغنى عن الخمرة الحقيقية بخمر العيون وسلاف المحيا»[1]

ولنواصل مع ابن الفارض كيف يتكلم والنشاط الذي يدب فيه والنشوة القصوى التي تعتريه منها قبل نشأته وبعد فناءه:

وعندي منها نشوةٌ قبلَ نشأتي معي أبدا تبقى وإن بَليَ العظمُ[2]

وكأن طعم الحب عنده حلو بحيث لا ينساه حتى يموت ويبلى عظمه أي حتى ولو لم يبقى له أثر. نعم حب الإله أطيب لذة عند الشاعر ولهذا يوصي الآخرين بكسبه خالصا لوجه الله لأنه نبض حياة الكائنات. وفي ختام كلامه يقول : إن الحياة دون الحب الحقيقي هي الموت ومن لا يدرك هذا الحب مع طول عمره فهو ميت سلفا:

فلا عيشَ في الدنيا لِمن عاشَ صاحيا ومن لم يمُت سكرا بها، فاته الحزمُ

على نفسه فليبكِ مَن ضاعَ عمرُهُ وليسَ له فيها نصيبٌ، ولاسهمُ[3]

---

[1] أمين يوسف عودة: تلأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، ص195

[2] الديوان: ص143

[3] المصدر نفسه: ص 143

وهكذا نقل ابن الفارض الحديث من مجرد وصف حسي الى حالة وجدانية تتجاوز الواقع وتنفذ إلى باطن التجربة الصوفية الزاخرة بالمعاني والمعارف الكونية والوجودية والفلسفية التي لا تعترف بالحس لكونه وإنما نتجت عن كيفه

هذه هي الخمرة التي برع فيها ابن الفرض وكان رائدا بحق ورمزا لرمز الخمرة الصوفية ذات الأبعاد الروحية برغم قلة موروثه الشعري.

الفصل الرابع

"بين خمرة أبي نواس وخمرة ابن الفارض"

❖ تمهيد

❖ المبحث الأول:

➢ النموذج الخمري لأبي نواس

❖ المبحث الثاني:

➢ النموذج الخمري لابن الفارض

❖ المبحث الثالث:

➢ عقد المقارنة

❖ خلاصة

تمهيد:

قد تبدو المقارنة بين خمرة أبي نواس وخمرة ابن الفارض غير منطقية أو غير ممكنة وقد يقول البعض انه بين الخمرتين كما بين الشاعرين بونا وفرقا واسعا فلكل أسلوبه وخصائصه وأغراضه ناهيك عن اختلاف الأبعاد بين الخمرتين. فبين خمرة اعتراها العبث واللهو والمجون وبين خمرة لم تطلب لذاتها وإنما ركبت مطية واتخذت وسيلة للتعبير عن موضوعها الأسمى ومحاولة من صاحبها للاتصال بحضرة الذات الإلهية عند ابن الفارض.

لكننا لا نكاد نمعن في التأمل في الخمرتين وندرس خصائصهما عند الشاعرين حتى تتضح لنا الرؤيا وترسم أمامنا طريق الدراسة لنستشف حقيقة إمكانية المقارنة بينهما، وسنخصص هذا الفصل لدراسة نموذج خمري لأبي نواس وآخر لابن الفارض ثم نعقد المقارنة بين النموذجين لنخرج في الأخير ببعض النتائج والانطباعات.

المبحث الأول: النموذج الخمري لأبي نواس :

دع عنك لومي

دَع عَنكَ لوْمِي فإنَّ اللوْمَ إغراءُ وَدَاوِني بالتي كانَتْ هيَ الداءُ

صَفْراءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ ساحتها لوْ مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

مِنْ كَفّ ذات حِرٍ في زيّ ذي ذكرٍ لَها مُحِبّانِ لُوطيٌّ وَزَنّاءُ

قامَتْ بإبْريقِها والليلُ مُعْتَكِرٌ فَلاحَ مِنْ وَجْهِهَا فِي البَيْتِ لألأءُ

فَأرْسَلتْ مِنْ فَمِ الإبريقِ صَافِيَةً كأنَّمَا أخْذُها بالعَيْنِ إغفاءُ

رَقَّتْ عَنْ الماءِ حتى ما يُلائِمُها لطافةً وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا الماءُ

فلوْ مَزَجْتَ بِهَا نُوراً لمَازَجَهَا حَتَى تُولَدُ أنْوارٌ وأضواءُ

دارَتْ على فِتْيَةٍ دانَ الزمانُ لهُمْ فمَا يصيبُهُمْ إلا بِمَا شاءُوا

لِتِلْكَ أبْكِي ولا أبْكِي لِمَنْزِلَةٍ كانَتْ تَحِلُ بِهَا هِنْدُ وأسماءُ

حاشا لدرة ان تبنى الخيام لها وأن تروحَ عَليْها الإبلُ والشاءُ

فقل لمن يدّعي في العلمِ فلسفةٍ حَفِظْتَ شيئاً وَغابَتْ عَنْكَ أشيَاءُ

لا تحْظُر العفوَ إن كنتَ امرءا حَرجًا فَإنّ حَظْرَكَهُ في الدّين إزْراءُ[1]

سبب اختار القصيدة:

[1] الديوان: ص08

قد لا يكون السبب في اختيار القصيدة كنموذج للدراسة سببا محددا فانه يصعب الاختيار بين خمريات أبي نواس لأننا لن نعدم الأمثلة والنماذج في هذا المجال، فديوانه يعج بالخمريات حتى لا نكاد نجد غرضا آخر بينها إلا قليلا يندس بين ثنايا الديوان.

ولربما قد تكون هذه القصيدة التي اخترناها كما توسمنا فيها مكتملة المعاني والصور الخمرية، وهي قصيدة واضحة وذائعة الصيت، ضف إلى أن مفرداتها واضحة وسهلة الشرح.

شرح أبيات القصيدة:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فإنَّ اللوْمَ إغراءُ وَدَاوِني بالتي كانَتْ هيَ الداءُ

جاء في شرح ديوان أبي نواس لإيليا الحاوي أن أبا نواس: «يخاطب النظام أحد رؤساء المعتزلة وكان يحرج على أبي نواس في تهتكه في تهتكه ويطلب منه أن يكف عن لومه لأن زيادة اللوم تؤدي إلى نقيض غايتها وفي الشطر الثاني يقول له انه يطلب الخمرة ليتداوى بها من ذاتها كقول المجنون:

تداويت من ليلى بليلى وحبها كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

أو قول الأعشى:

وكأس شربت عل لذة وأخرى تداويت منها بها»[1]

صَفْراءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ ساحتها لوْ مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

[1] إيليا الحاوي: شرح ديوان أبي نواس، ج1، ص21

جاء في تفسير الديوان أيضا: «يقول إنها تبعث الفرح حتى في الحجر القاسي. فكيف بالإنسان؟ فهي عدوة الأحزان»[1]

مِنْ كَفّ ذات حِرٍ في زيّ ذي ذكرٍ لَها مُحِبّانِ لُوطيٌّ وَزَنّاءُ

جاء في شرح الديوان: «"الحر": الفرج،عضو المرأة التناسلي. "اللوطي": من يواقع الرجال يقول: اشرب الخمرة من امرأة ترتدي الزّي الغلامي، وهي عشيقة رجلين: أحدهما لوطي يواقع الذكور، والزنّاء الذي يدأب على التهتك والزنى»[2]

قامَتْ بإبْريقِها والليلُ مُعْتَكِرٌ فَلاحَ مِنْ وَجْهِهَا فِي البَيْتِ لألأءُ

« قامت بإبريق الخمرة عبر الليل المظلم فتألق وجهها وسطع وكأنه لألاء»[3]

فَأرْسَلتْ مِنْ فَمِ الإبريقِ صَافِيَةً كأنَّمَا أخْذُها بالعَيْنِ إغفاءُ

« إن لذة الخور تأخذ العين بالنشوة وكأنها نشوة النعاس»[4]

رَقَتْ عَنْ الماءِ حتى ما يُلائِمُها لطافةً وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا الماءُ

«إنها تأبى أن تمتزج بالماء لأنها أرق منه وألطف وجوهرها يباين جوهره لطافة»[5]

فلوْ مَزَجْتَ بِهَا نُوراً لمَازَجَهَا حَتَى تُولَدُ أنوارٌ وأضواءُ

[1] المصدر نفسه: ص 21
[2] المصدر نفسه: ص21
[3] المصدر السابق: ص22
[4] المصدر نفسه: ص22
[5] المصدر نفسه: ص22

«إن جوهرها يماثل جوهر الضياء وهي تمتزج به فتتولد الأنوار والأضواء»[1]

***دارَتْ على فِتْيَةٍ دانَ الزمانُ لهُمْ فمَا يصيبُهُمْ إلا بِمَا شاءُوا**

«إن تلك الجارية دارت بكأسها على ندامى شربوا وطربوا فتحكما في الدهر فلا يصيبهم بما شاء بل بما يشاءون هم»[2]

لِتِلْكَ أبْكِي ولا أبْكِي لِمَنْزِلَةٍ كانَتْ تَحِلُ بِهَا هِنْدُ وأسماءُ

«انه يبكي على مقام الخمرة ولا يبكي على الأمكنة الدّارسة التي كانت تقيم فيها هند وأسماء وسواهما من الحبيبات العربيات اللواتي كان يتغزل بهن الشعراء»[3]

حاشا لدرة أن تبنى الخيام لها وأن تروحَ عَلَيْها الإبلُ والشاءُ

« درّة اللؤلؤة ، وهنا الخمر

إنها أكرم من أن تقيم في الخيام وأن تختلف إليها الإبل والشياه»[4]

فقل لمن يدّعي في العلمِ فلسفةٍ حَفِظْتَ شيئاً وَغابَتْ عَنْكَ أشيَاءُ

«يخاطب النظام ويقول انك عامت جزءا يسيرا من الدين وغابت عنك الأجزاء الأخرى»[5]

لا تحْظُر العفوَ إن كنتَ امرَءا حَرجًا فَإنّ حَظْرَكَهُ في الدّين إزْراءُ

---

[1] المصدر نفسه: ص22

[2] المصدر نفسه: ص22

[3] المصدر نفسه: ص22

[4] المصدر نفسه: ص22

[5] المصدر السابق: ص22

«لا تحظر العفو عمن يقبلون على الخمرة فان تحرجك يزري بالدين ويحقر شأنه»[1].

تحليـــل القصيـــدة:

يستهل أبو نواس قصيدته بصرخة في وجه من يلومه على معاقرة الخمر ويرفض أن يعاتب. وانه ليرى في إكثار الملامة شيئا من الإغراء. ومع هذا الرفض يطلب التداوي بحبيبته الخمرة التي كانت هي الداء لأنه لا يسمع لصوت غير صوتها ولا ينتبه لسواها فهو كملا يقول الدكتور محمد زكي العشماوي: «لا يزيده لوم الناس إلا إقبالا على الخمر وتعلقا بها فهو يندفع إلى معاقرتها كلما عابوه أو استنكروا عليه فعله»[2]

فهو مغلوب على أمره أمام سلطان الخمرة ونشوتها لا يملك لها دفعا ولا صدّا. وعن هاته الخمرة التي لا يطيق عليها صبرا يصفها بأنها صفراء مدعاة للمسرة والأفراح. الأحزان تقرب منها أو تتواجد حيث تحلّ هي، بل ومن شدّة مسرتها ودفعها للأحزان حتى إنها لتلبس الحجر الأصم سراء وفرحا إذا ما لامسها فما بالك بالإنسان الذي يشربها.

وتزداد حلاوة هاته الخمرة معه في شخص الساقي فهو يحبذها امرأة تلبس زي الرجال حتى تثير المجون والعربدة. وهاته المرأة متعلق بها رجلان ماجنان أحدهما لوطي والآخر عربيد زان متهتك. والبيت في شدة مجونه يعبر عن استهتار النؤاسي وفحشه فهو يشرب الخمرة ويجاهر بها وسط جو من الخلاعة والعربدة.

---

[1] المصدر نفسه: ص22

[2] محمد زكي العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي الأول، ص204

إنه لا يبالي في هذه الأبيات بأي شيء فهو لا يريد إلا خمرته وجوها الماجن وهو في ذلك مجاهر لا يعير بالا لأحد.وعن هذه الساقية التي تحمل الإبريق في جوّ هذا الليل المهيب المعتكر قد تلألأ وجها ضياء حتى أنار البيت. وفي هذا البيت ما يدل على ولع النِاسي ليس بخمرته فحسب بل وبجوها وسقاتها وندمائها. ولما بدأت تصب الخمر من الإبريق عمت النشوة إذ أرسلت خمرة صافية تذهب بالعقول وتفتن النفوس وتبعث نشوة في العين إذا ما عاينتها أشبه بنشوة النعاس التي لا تقاوم. إنها خمرة هام فيها النؤاسي وقدّسها حتى انه لا يكاد ينتبه لشيء غيرها ولا نشوة عنده أعذب من نشوتها. «والخمر لقداستها لا تعدّ عرضا ماديا زائلا بل هي جوهر وروح. لذلك فهي تتعالى عن الماء لأنها لا تلائمه لطافة. وهي تجفوه لأن طبيعتها ليست من طبيعته فهي أكثر من المدة رقة وشفافية»[1] وهي تمتزج بالنور لأنه يكاد يكون من جنسها فتتولّد عن هذا التمازج أنوار وأضواء.

يقول إيليا حاوي: «الواقع أن أبا نواس لا ينظر إلى الخمرة هنا نظرة جزئية. بل ينزع إلى قليل أو كثير من الشمول. فهو يتحرى في الجوهر ويجد أن الجواهر لا تتحد إلا إذا تساوت في اللطافة. فهي ألطف من الماء، تجفوا وتأنف من الامتزاج به. لا شك أنه أفاد في ذلك من العلوم في جاهر المعادن ومن الفلسفة في القوة والفعل والصور والمادّة وما إلى ذلك. إلا أن المهم في ذلك كله أنه لم يعد واصفا. بل متفكرا متحريا، طالبا للكشف والمعرفة. وقد خرج عن عمود الوصف وتحرر من ربقته»[2].

وهبي الخمرة التي حظي شاربوها باحترام الزمان لهم فأداروا أقداره كيفما يشاءون فما يصيبهم منه إلا ما يريدون ويدفعون بها عنهم مايكرهون. يقول الدكتور محمد زكي العشماوي معلقا على هذا البيت:

---

[1] المرجع السابق: ص215

[2] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص306

« ويصف الخمر بالقدرة على تغيير الزمان وتحويله إلى قيمة خاصة ومختلفة وإلى طاقة ذات فاعلية في التحويل والتبديل، فهي ذات إرادة قادرة على خلق الوجود الذي يشاءه شاربوها»[1]

بعد أن يفرغ من تغنّيه بخمرته التي فتنته وذهبت بعقله أيما مذهب حتى أنها لتكاد أن تكون معبودته وليس محبوبته فحسب، ووصف قدرتها ونورها وبريقها ينتقل إلى نزعة السخرية من الأطلال والثورة على البكاء عليها. وهي نزعة امتاز بها النؤاسي وهي من معالم التجديد في خمره فهو كان يمقت الوقوف على الطلل وقد تمرد على بناء القصيدة التقليدية ولم يكن يرى من جدوى في الوقوف على الخراب. بل كان يرى في هذا الوقوف والبكاء تقليدا أرعنا لا طائل منه. ومن ثورته على الطلل قوله:

دعِ الأطلالَ تَسفيها الجنوبُ وتُبلي عهد جِدّتها الخطوب

وخلِّ لراكب الوجناء أرضا تخبُّ بها النجيبةُ والنجيبُ

بلادٌ نبتُها عشرٌ وطَلحٌ وأكثر صيدها ضبعٌ وذيبُ

ولا تأخذ عن الأعراب لهوا ولا عيشا فعيشُهُمُ جديبُ

دَع الألبانَ يشربها رجالٌ رقيق العيش بينهمُ غريبُ

إذْا رابَ الحَليبُ فبّل عليه ولاَ تَحْرجْ فَمَا في ذَلك حُوبُ

فأطيبُ منه صافيةٌ شمول يطوفُ بكأسها ساقٍ أديبُ[2]

وقد يصل به الحدّ في موقفه من الوقوف علا الأطلال إلى السخرية والاستخفاف الصريحين. يقول مستهزئا:

---

[1] محمد زكي العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي الأول، ص198

[2] الديوان: ص36/35

قل لمن يبكي على رسم درس واقفا، ما ضرَّ لو كان جلسْ[1]

انه لا يبكي عل هند ولا على أسماء ولا على غيرهن من الجواري والنساء. وقداسة خمرته تترفع على أن تشرب في الخيام بالبادية القاحلة بين الإبل والغنم.

وبعد أن يفرغ من خمرته ومقارناته يلت إلى صاحبه الأوّل الذي اثأر جدله وحاجّه في محبوبته وتهكم عليه ودعاه لترك الخمرة باعتبارها معصية وكبيرة من الكبائر وهنا إشارة صريحة إلى اتجاه ديني. فهو إن جادل قبل في حبها قد تعدّ الآن إلى الجدال بشأن تحريمها ويصف مجادله بالجهل وادّعاء المعرفة، وأنه ليس بالذي يملي عليه ما يفعل. أو يحلّ له ويحرّم. وان تشدّد هذا الأخير هو تشويه لسمعة الدين السميح الذي هو بعيد كل البعد عن القهر والتشدّد. بل هو دين لطف ولين.

الخصـــائـص الفنيـــة والأسلـــوبية للقصيـــدة:

قصيدة أبو نواس تعتبر نموذجا كاملا للقصيدة الخمرية من ناحية الشكل والأسلوب والمعاني فقد وظف فيها طاقته الإبداعية، وعبّر فيها عن اتجاهه وموقفه في الحياة .

ابتدأ قصيدته بأسلوب إنشائي بصيغة الأمر، ثم أغرق في الأوصاف والمعاني، لينهيها مرة أخرى لأسلوب الأمر في البيت الأخير والذي قبله، أما الأبيات الأخرى فكلها جاءت على صيغة خبرية وصفية وسردية.

[1] المصدر نفسه: ص 366

وأبو نواس ذو السليقة السليمة زاخر الأدب وافره نجده بعيدا عن التكلف والزخرفة لم يكثر من ألوان البديع إلا ما جاء منه عارضا ونذكر بعض الأمثلة والصور التي من الواضح جدّا أنها بعيدة عن التكلف قريبة إلى قوة الشاعر الفنية والجمالية.

جاء التصريع في البيت الأول: إغراء/. والطباق في داء ودواء. وفي البيت الثاني سجع: حِرٌّ/ذكر.

والكناية في قوله و مسها حجر مسته سرّاء: كناية عن مدى قوتها وقدرتها على زرع السعادة.

والاستعارة في " دان الزمان لهم": جعل من الزمان رجلا يدين ويدان.

والتشبيه البليغ في قوله: حاشى لذرّة. جعل الخمرة ذرة وحذف أداة التشبيه.

الطباق بين يلائم وجفا وبين الأحزان والسرّاء.

الترادف بين أنوار وأضواء غرضه تقوية المعنى.

ولقد جاء بناء القصيدة سهلا سلسا متناغما مترابطا ينمّ عن موهبة أبي نواس وقدرته الأدبية والفنية.

خلاصة عامة حول القصيدة:

قصيدة أبي نواس عكست تصوّراته وآرائه حتى منهجه في الحياة وقد تجلى في هته القصيدة نزعات صريحة نوردها كالتالي:

- موقفه الديني المستهتر وتمرده ورفضه الصريح لأيٍّ داع يدعوه بترك خمرته
- تعلقه بالخمرة تعلقا شديدا جعله لا يلقي بالا ولا يعير انتباها لأحد غيرها.
- يصرّح بمجونه وبنزعته الشعوبية الثائرة على كل تقليد وتستّر وينجرف مع تيار التجديد الذي صاحب العصر العباسي.

- لا تكتمل نشوة أبي نواس مع خمرته إلا في الجو الماجن المعربد بين السقاة والندماء.
- ما يزيد روعة الخمرة في شعر أبي نواس ودقة أوصافه وتصويراته للمجلس والأواني والسقاة والندماء.
- ثورته على القديم وعلى التقليد الذي لطالما عبّر عن كرهه له فهو لا ينفكّ يسخر من البكاء على الطلل والنسيب في قصيدته، فيمقت هذا الفعل ويزدريه ويجعل بكاءه غاليا عزيزا لا ينزل إلا لحبيبته ومعبودته خمرته التي فتنته وذهبت بلبّه يرى بان فعله هو المسؤول عنه ولا احد يحاسبه من البشر. والعقاب والثواب مرجيان إلى يوم القيامة عند الله تعالى.
- خمرة أبي نواس خمرة لذاتها نظم القصيدة لأجلها ولم يرد بها غرضا أخر ولم يرمي إلى موضوع خلفها.

المبحث الثاني: النموذج الخمري لابن الفارض

الخمرية

شَرِبْنَا على ذِكْرِ الحبيبِ مُدامَةً سكِرْنَا بها من قبل أن يُخلق الكَرْمُ

لها البدرُ كأسٌ وهيَ شمسٌ يُدِيرُهَا هلالٌ وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجم

ولولا شذَاها ما اهتدَيتُ لِحانِها ولولا سَناها ما تصَوّرها الوَهْمُ

ولم يُبْقِ منها الدّهْرُ غيرحُشاشَةٍ كأنّ خَفاها في صُدور النُّهى كتْم

فإن ذُكِرَتْ في الحَيّ أصبحَ أهلُهُ نَشاوى ولا عارٌ عليهمْ ولا إثم

ومِنْ بينِ أحشاء الدّنانِ تصاعدتْ ولم يَبْقَ منها في الحقيقة إلاّ اسمُ

وإن خَطَرَتْ يوماً على خاطرِ امرئٍ أقامتْ به الأفراحُ وارتحلَ الهمّ

ولو نَظَرَ النُّدْمَانُ خَتمَ إنائِها لأسكَرَهُمْ من دونِها ذلكَ الختم

ولو نَضحوا منها ثرَى قبرِ مَيّتٍ لعادتْ إليه الرّوحُ وانتَعَشَ الجسم

ولو طَرَحُوا في فَيءِ حائطِ كَرْمِها عليلاً وقد أشفى لفَارَقَهُ السّقم

ولوقَرّبُوا من حانِها مُقْعَداً مشَى وتنطِقُ من ذِكْرَى مذاقتِها البُكْم

ولوعَبِقَتْ في الشرق أنفاسُ طِيبِها وفي الغربِ مزكومٌ لعادَ لهُ الشَّمُّ

ولو خُضِبت من كأسِها كفُّ لامسٍ لمَا ضَلّ في لَيْلٍ وفي يَدِهِ النجم

ولو جُليتْ سِرّاً على أَكمَهٍ غَدا بَصيراً ومن رأووقِها تَسْمَعُ الصّم

ولو أنّ رَكْباً يَمّموا تُرْبَ أرْضِهَا وفي الرّكبِ ملسوعٌ لمَا ضرّهُ السّمّ

ولو رَسَمَ الرّاقي حُرُوفَ اسمِها على جَبينِ مُصابٍ جُنّ أبْرَأهُ الرسم

وفوْقَ لِواء الجيشِ لو رُقِمَ اسمُها لأسكَرَ مَنْ تحتَ اللّوا ذلك الرّقْم

تُهَذّبُ أخلاقَ النّدامى فيَهْتَدي بها لطريقِ العزمِ مَن لا لهُ عَزْم

ويكرُمُ مَن لم يَعْرِف الجودَ كَفُّه ويحلُمُ عند الغيظ مَن لا لهُ حِلم

ولو نالَ فَدْمُ القومِ لَثْمَ فِدَامِها لأكْسبَهُ مَعنى شمائِلها اللّثـــم

يقولونَ لي صِفْهَا فأنتَ بوَصفها خبيرٌ أَجَلْ عِندي بأوصافها عِلم

صفاءٌ ولا ماءٌ ولُطْفٌ ولا هَواً ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جِسْمٌ

تَقَدّمَ كُلَّ الكائناتِ حديثُها قديماً ولا شكلٌ هناك ولا رَسم

وقامت بها الأشياءُ ثَمّ لحكمَةٍ بها احتَجَبَتْ عن كلّ من لا له فَهْمُ

وهامتْ بها روحي بحيثُ تمازَجا اتّ تِحاداً ولا جِرْمٌ تَخَلّلَه جِرْم

فَخَمْر ولا كرْم وآدَمُ لي أب وكَرْم ولا خَمْرولي أُمُّها أُمّ

ولُطْفُ الأواني في الحقيقة تابع لِلُطْفِ المعاني والمَعاني بها تَنْمُو

وقد وَقَعَ التفريقُ والكُلّ واحد فأرواحُنا خَمْرٌ وأشباحُنا كَرْم

ولا قبلَها قبل ولا بَعْدَ بَعْدَهَا وقَبْليُّة الأبْعادِ فهْي لها حَتْم

وعَصْرُ المَدى من قَبله كان عصرَها وعهْدُ أبينا بَعدَها ولها اليُتم

محاسِنُ تَهدي المادِحينَ لوَصْفِهَا فَيَحْسُنُ فيها منهُمُ النّثرُ والنّظم

ويَطْرَبُ مَن لم يَدْرِهَا عند ذِكْرِهَا كَمُشْتَاقِ نُعْمٍ كلّما ذُكرَتْ نُعم

وقالوا شَرِبْتَ الإثمَ كلاّ وإنّما شرِبْتُ التي في تركِها عنديَ الإثم

هنيئاً لأهلِ الدّيرِ كمْ سكِروا بها وما شربوا منها ولكِنّهم هَمّوا

وعنديَ منها نَشْوَةٌ قبلَ نشأتي معي أبداً تبقى وإنْ بَليَ العَظْم

عليكَ بها صِرْفاً وإن شئتَ مَزْجَها فَعَدْلُكَ عن ظَلْم الحبيب هو الظُّلم

فَدُونَكَهَا في الحانِ واستَجْلها به على نَغَمِ الألحان فهيَ بها غُنْمُ

فما سكنَتْ والهمَّ يوماً بموضع كذلك لم يسكُنْ مع النَّغَم الغَم

وفي سكرةٍ منها ولَوْ عُمْرَ ساعةٍ تَرَى الدَّهْرَ عبداً طائعاً ولك الحُكْم

فلا عَيْشَ في الدُّنْيا لمَن عاشَ صاحياً ومَن لم يَمُتْ سُكْراً بها فاته الحزم

على نفسه فليَبْكِ مَن ضاع عُمْرُهُ وليسَ لهُ فيها نَصيبٌ ولا سهمُ[1]

سبب اختيـــار القصيـدة:

إذا ما ذكرنا الخمرة عند ابن الفارض فأول ما يتبادر لأذهاننا خمريته الشهيرة التي يعرفها العام والخاص والتي لا تمثل ابن الفارض وحده بل تمثل تيار الرمز الخمري الصوفي عامة. وهي القصيدة الوحيدة في ديوانه التي اختصت بذكر الخمرة من بدايتها إلى نهايتها. وهي التي اعتبرها الدّارسون بحق نموذجا كاملا لصورة الرمز الخمري الصوفي بشكل عام على حدّ قول نصر عاطف جودة: «ولشرف الدين

[1] الديوان: ص140/143

عمر بن الفارض قصيدة خمرية ذائعة. تعدّ بحق نموذجا لاكتمال الرموز الخمرية في الشعر الصوفي بشكل عام.»[1]

فلا عجب أن يقع اختيارنا عليها بعد كلّ ما ذكرناه راجين من المولى عزّ وجلّ أن يوفقنا في دراستها والإفادة منها.

شـــرح أبيـــات القصيـــدة:

شَرِبْنَا على ذكْرِ الحبيبِ مُدامَةً سكِرْنَا بها من قبل أن يُخلق الكَرْمُ

يقول النابلسي: «قوله شربنا. أي معشر السالكين قي طري الله تعالى. وقوله ذكر الحبيب أي المحبوب، وهو الحق تعالى.... وأشار إلى ذكر الحبيب عنده من أقوى أسباب الطرب وقوله مدامة أي خمرة والمعني بها هنا شراب المحبة الإلهية الناشئة عن شهود الآثار الجمالية للحضرة العلية فإنها توجب السكر والغيبة بالكلية من جميع الأعيان الكونية.... وقوله: من قبل أن يخلق الكرم. يعني أن سكره المذكور سابق في الحضرة العلمية فبل ظهور كل مقدور.»[2]

***لها البدرُ كأسٌ وهيَ شمسٌ يُدِيرُهَا هلالٌ وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجم**

يقول النابلسي: «قوله لها.أي لتلك المدامة المذكورة من حيث أنها محبة إلهية كما ذكر وهي عين المحبة الأزلية. ظاهرة في مظاهر الآثار الكونية فشمس بحبهم ظهور بدرها قي بدر يحبونه.»[3]

ولولا شذَاها ما اهتدَيتُ لِحانِها ولولا سَناها ما تصَوّرها الوَهْمُ

---

[1] نصر عاطف جودة: الرمز الشعري عند الصوفية، ص366

[2] شرح الديوان: ص246/245

[3] المصدر نفسه: ص 246

يقول النابلسي: «يعني بشذاها عالم الرّوح الأعظم الذي هو من أمر الله تعالى. وقوله حانها يكني بالحان عن حضرات الذات العليّة.»[1]

ولم يُبْقِ منها الدّهْرُ غيرحُشاشَةٍ كأنّ خَفاها في صُدور النُّهى كتْمُ

يقول النابلسي: «قوله منها. أي هذه المدامة المذكورة يعني في بصائر المكلفين بأحكامها وذلك لاستيلاء الغفلات على قلوب أكثرهم.»[2]

فإن ذُكِرَتْ في الحَيّ أصبحَ أهلُهُ نَشاوى ولا عارٌ عليهمْ ولا إثمُ

يقول النابلسي: «وقوله نشاوى. المعنى حصول السكر لهم بما ينجلي عليهم وينكشف لديهم فيغيبون به عن أوهام الأغيار في التحقق بمعاني الأسرار.»[3]

ومِنْ بينِ أحشاء الدّنانِ تصاعدتْ ولم يَبْقَ منها في الحقيقة إلاّ اسمُ

يقول النابلسي: «.... وهو كناية عن خفاء العلوم الإلهية من صدور الرجال وتقاصر الهمم الروحانية عن نيلها وطلبها لانحراف القلوب عن هذا المجال.»[4]

وإن خَطَرَتْ يوماً على خاطرِ امرئٍ أقامتْ به الأفراحُ وارتحلَ الهمّ

---

[1] المصدر نفسه: ص 247

[2] المصدر نفسه: ص 248

[3] المصدر نفسه: ص 249

[4] المصدر نفسه: ص 249

يقول النابلسي: «أي انكشفت له متجلية بصورة من الصور مطلقا. فان تجليها واستتارها على حساب إرادتها ومشيئتها.»[1]

ولو نَظَرَ النُّدْمَانُ خَتمَ إنائِها لأسكَرَهُمْ من دونِها ذلكَ الختم

يقول النابلسي: «يكني بالندمان عن السالكين في طريق الله تعالى. وختم إنائها كناية عن أثر التجلي الرباني في قلب العبد. والنظر إليه كناية عن التحقق به.»[2]

ولو نَضحوا منها ثرَى قبرِ مَيّتٍ لعادتْ إليه الرّوحُ وانتَعَشَ الجسم

بقول النابلسي: « .... وقوله وانتعش الجسم أي عاد كما كان لو أراد الله تعالى وأذن في ذلك لمن شاء من عباده السالكين في طريق التحقيق.»[3]

*ولو طَرَحُوا في فَيءِ حائطِ كَرْمِها عليلاً وقد أشفى لفَارَقَهُ السّقم

يقول النابلسي: «فان القلوب تمرض روحانياتها كما تمرض الأجسام. ودواء الأجسام حسي ودواء القلوب معنوي.»[4]

ولو قَرّبُوا من حانِها مُقْعَداً مشَى وتنطِقُ من ذِكْرَى مذاقتِها البُكْم

[1] الصدر السابق:250

[2] المصدر نفسه: ص 250

[3] المصدر نفسه: ص 251

[4] المصدر نفسه: ص 252

يقول النابلسي: «.... وقوله مقعدا كنى به هنا عمّن لا نهوض له إلى معرفة ربه المعرفة الحقيقية....

وقوله: وتنطق أي تتكلم بالعلوم الإلهية والحقائق العرفانية.»[1]

ولو عَبِقَتْ في الشرق أنفاسُ طِيبِها وفي الغربِ مزكومٌ لعادَ لهُ الشَّمُّ

يقول النابلسي: « .... وقوله لعاد له الشمّ: أي حاسة إدراك الروائح بحيث يصير يشم روائح التحقيق والعرفان من كلام أهل الكشف والعيان.»[2]

ولو خُضِبت من كأسِها كفُّ لامسٍ لمَا ضَلّ في لَيْلٍ وفي يَدِهِ النجم

يقول النابلسي: «قوله كف لامس: لإشارة بكف اللامس عن يد المريد الصادق في إرادة الله تعالى اذ وضعها في يد الإنسان الكامل المرشد المحمدي الجامع وقت المبايعة والمعاهدة.»[3]

ولو جُليتْ سِرّاً على أَكمَهٍ غَدا بَصيراً ومن رأووقِها تَسْمَعُ الصّم

يقول النابلسي: « والمعنى في ذلك انكشاف الحقيقة الوجودية الجامعة. وقوله أكمه هو العبد الغافل المحجوب بنفسه عن تجليات ربّه.»[4]

ولو أنّ رَكْباً يَمّموا تُرْبَ أرْضِهَا وفي الرّكبِ ملسوعٌ لمَا ضرّهُ السّمّ

---

[1] المصدر نفسه: ص 253/252

[2] المصدر نفسه: ص 253

[3] المصدر السابق: ص254

[4] المصدر نفسه: ص 255

يقول النابلسي: «.... وقوله ملسوع هو كناية عن المحب العاشق الذي لسعته حية الهوى. وقوله لما ضره السّم. كنى بالسم عن الغيرية الظاهرة من الأكوان الفانية. فانه إذا قصد المرشد الكامل يعرفه بحقائق الكائنات.»[1]

ولو رَسَمَ الرّاقي حُرُوفَ اسمِها على جَبينِ مُصابٍ جُنّ أبْرَأهُ الرسم

يقول النابلسي: «الإشارة بالراقي إلى الإنسان الكامل وهو الشيخ المرشد.»[2]

وفوْقَ لِواء الجيشِ لو رُقِمَ اسمُها لأسكَرَ مَنْ تحتَ اللّوا ذلك الرّقْم

يقول النابلسي: «أشار بلواء الجيش إلى الطريقة المنشورة لكل شيخ من مشايخ الصوفية الكاملين المحققين.»[3]

تُهَذّبُ أخلاقَ النّدامى فيَهْتَدي بها لطريقِ العزمِ مَن لا لهُ عَزْم

يقول النابلسي: «أشار بن الندامى إلى المريدين السالكين بالتقوى في دين الله تعالى. وقوله لطريق العزم هو العزم على الخير دون الشّر.»[4]

ويكرُمُ مَن لم يَعْرِف الجودَ كَفُّه ويحلُمُ عند الغيظ مَن لا لهُ حِلم

يقول البوريني: «أي تهذب أخلاق الندامى فيهتدي بها من ليس له عزم»[5]

ولو نالَ فَدْمُ القومِ لَثْمَ فِدَامِها لأكْسبَهُ مَعنى شمائِلها اللّثـــم

---

[1] المصدر نفسه: ص 256

[2] المصدر نفسه: ص 257

[3] المصدر نفسه: ص 257

[4] المصدر السابق: ص258

[5] المصدر نفسه: ص 258

يقول النابلسي: «المعنى في فدم القوم الجاهل الغافل المحب للقوم الصالحين المتولع باعتقاد أهل المعرفة الكاملين كيفما كان.»[1]

يقولونَ لي صِفْهَا فأنتَ بوَصفها خبيرٌ أَجَلْ عِندي بأوصافها عِلم

يقول النابلسي: «يقولون أي المحجوبون عنها الطالبون لها الراغبون في معرفتها ظنا منهم بأنها تحصل لهم بمجرد وصفها.»[2]

صفاءٌ ولا ماءٌ ولُطْفٌ ولا هَواً ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جِسْمٌ

يقول النابلسي: «والحاصل أن أوصاف هذه المدامة باعتبار تجلي حقيقتها الغيبية عليه ظاهرة له بأربعة أوصاف: الصفاء واللطف والضياء والروح.»[3]

تَقَدّمَ كُلَّ الكائناتِ حديثُها قديماً ولا شكلٌ هناك ولا رَسْم

يقول البوريني: «والمعنى في ذلك أن الأشكال جميعها والرسوم هي أعيان الممكنات. وهي المخلوقات كلها حادثة ليس شيء منها له وجد في حضرة العلم الإلهي والكلام الإلهي.»[4]

وقامت بها الأشياءُ ثَمّ لحكمَةٍ بها احتَجَبَتْ عن كلّ من لا له فَهْمُ

يقول النابلسي: «أي ثبتت وتعينت من غير وجود لها في نفسها. وإنما ثبوتها وتعينها بالوجود العلمي الإلهي والوجود الكلامي الإلهي.»[5]

---

[1] المصدر نفسه: ص 259

[2] المصدر نفسه: ص 260

[3] المصدر نفسه: ص 261

[4] المصدر نفسه: ص 262

[5] المصدر السابق: ص262

وهامتْ بها روحي بحيثُ تمازَجا اتّ تِحاداً ولا جِرْمٌ تَخَلّلَه جِرْم

فَخَمْر ولا كرْم وآدَمُ لي أب وكَرْم ولا خَمْرولي أُمُّها أُمّ

يقول البوريني: «وقله روحي هي غاية ما يدرك السّالك من أمر الله تعالى في تجلّيه عزّ وجل.... وقوله لا كرم وهو العنب أي لا كرم موجود وكنّى بالكرم عن عالم الإمكان وهي المخلوقات كلّها فإنها فانية معدومة بعمها الأصلي.»[1]

ولُطْفُ الأواني في الحقيقة تابع لِلُطْفِ المعاني والمَعاني بها تَنْمُو

يقول البوريني: «الأواني جمع إناء وكنّى بالأواني عن عالم الإمكان وهو جميع المخلوقات.وقوله : في الحقيقة أي حقيقة الأمر الإلهي وذلك في نظر العارف المتحقق بربه دون الغافل المحجوب»[2]

وقد وَقَعَ التفريقُ والكُلّ واحد فأرواحُنا خَمْرٌ وأشباحُنا كَرْم

يقول البوريني: «وقوله والكلّ واحد أي هو وجود واحد حي لذاته كشف أزلا بعلمه عن معلومة ممكنة معدومة الأعيان.»[3]

ولا قبلَها قبل ولا بَعْدَ بَعْدَهَا وقَبْليُّة الأبْعادِ فهْي لها حَتْم

[1] المصدر نفسه: ص ص263/262

[2] المصدر نفسه: ص 264

[3] المصدر نفسه: ص 264

يقول البوريني: «والمعنى أن قبلية كل بعد لهذه المدامة المذكورة على وجه القطع والجزم من غير شك ولا تردد أصلا.»[1]

وعَصْرُ المَدى من قَبله كان عصرَها وعهْدُ أبينا بَعدَها ولها اليُتم

يقول البوريني: «وأشار يعصر المدى إلى الدّهر وهو الزمان الطويل الذي هو من بدأ خلق العالم إلى لا منتهى.»[2]

محاسِنُ تَهدي المادِحينَ لوَصْفِهَا فَيَحْسُنُ فيها منهُمُ النّثرُ والنّظم

يقول النابلسي: «قوله محاسن أي هذه أي هذه محاسن يعني صفات المدامة التي تقدّم ذكرها.»[3]

ويَطْرَبُ مَن لم يَدْرِهَا عند ذِكْرِهَا كَمُشْتَاقِ نُعْمٍ كلّما ذُكرَتْ نُعم

يقول النابلسي: «قوله من لم يدرها أي هذه المدامة المذكورة، أي الذي لا يعرفها ذوقا وكشفا ووجدانا.»[4]

وقالوا شَرِبْتَ الإثمَ كلاّ وإنّما شرِبْتُ التي في تركِها عنديَ الإثم

يقول النابلسي: «قالوا شربت الاثم أي الخمرة المعتصرة من العنب المحرمة شرعا.»[5]

هنيئاً لأهلِ الدّيرِ كمْ سكِروا بها وما شربوا منها ولكِنّهم هَمّوا

---

[1] المصدر نفسه: ص 265

[2] المصدر السابق ص265

[3] المصدر نفسه: ص 267

[4] المصدر نفسه: ص 267

[5] المصدر نفسه: ص 268

يقول النابلسي: «أهل الدير هنا كناية عن الأولياء الوارثين للمقام العيسوي الروحاني من ولاية عيسى عليه السلام في الدّين المحمدي الجامع لجميع مقامات الأنبياء والمرسلين قبله.»[1]

وعنديَ منها نَشْوَةٌ قبلَ نشأتي معي أبداً تبقى وإنْ بَليَ العَظْم

يقول البوريني: «وقوله وان بلي العظم إشارة إلى أن أعمار هذا البدن الذي هو العظم لو بلي ولم يبق منه أثر فلا تزول هاتيك النشوة بل تدوم بعد الجسد المعدوم.»[2]

عليكَ بها صِرْفاً وإن شئتَ مَزْجَها فَعَدْلُكَ عن ظَلْم الحبيب هو الظُّلم

يقول النابلسي: «وقوله بها أي بالمدامة المذكورة، وقوله صرفا أي بلا مزج والصرافة في هذا الشراب كناية عن فناء كلّ ماعدا الوجود الحقّ الصرف به لا بالنفس المغايرة له.»[3]

فَدُونَكَهَا في الحانِ واستَجْلها به على نَغَمِ الألحان فهيَ بها غُنْمُ

يقول النابلسي: «معنى دونكها أي بالمدامة الذكورة. أي تناولها وخذها بتقدير تحقق فنائك واضمحلالك في الوجود الحق الذي أنت به موجود عندك على الوهم.»[4]

فما سكنَتْ والهمَّ يوماً بموضع كذلك لم يسكُنْ مع النَّغَم الغَم

---

[1] المصدر نفسه: ص 269

[2] المصدر نفسه: ص 270

[3] المصدر السابق: ص271/270

[4] المصدر نفسه: ص 272

يقول البوريني: «ويكون المعنى على الرواية كذلك أي كما أن المدامة ما سكنت مع الهم بمنزل في يوم من الأيام كذلك النعم لا تسكن مع الغم في موضع واحد.»[1]

وفي سكرةٍ منها ولَوْ عُمْرَ ساعةٍ تَرَى الدَّهْرَ عبداً طائعاً ولك الحُكْم

يقول النابلسي: «وقوله ترى خطاب للمريد السالك في طريق الله تعالى على الصدق في أحواله. وقوله الدهر المعني فيه زمانه. أي مدّة عمره في الدنيا وقد يراد بالدهر هنا مدة الدنيا كلها.»[2]

فلا عَيْشَ في الدُّنْيا لمَن عاشَ صاحياً ومَن لم يَمُتْ سُكْراً بها فاته الحزم

على نفسه فليَبْكِ مَن ضاع عُمْرُهُ وليسَ لهُ فيها نَصيبٌ ولا سهمُ

يقول النابلسي: «وقوله ومن لم يمت سكرا. أي بان استوعب أوقاته كلها في مشاهدة الوجود الحق، وصار لم يشعر بشيء سواه فقد فاته الحزم، وأضاع الصّواب وخسر أوقاته وأفسد أحواله والبيت الثاني واضح.»[3]

تحليـــل القصيـــدة:

القصيدة الخمرية هي أهم القصائد في ديوان ابن الفارض بعد تائيته الكبرى. يقوم الشاعر في هذه القصيدة بوصف الخمرة وصفاً عميقاً، كي يبلغ غاية غير مادية، ويجبر القارئ على العبور من ظاهرها إلى باطنها. ولقد تجلت قدرة ابن الفارض وموهبته الفنية وقدرته على صياغة الرمز الشعري من الخم المادية ففي هذه القصيدة تتجلى قيمته كشاعر مجيد فاق كونه مجرد صوفي يحسن الوصف ويصوّر مراحل عروجه وسلوكه.

---

[1] المصدر نفسه: ص 272
[2] المصدر نفسه: ص 274
[3] المصدر نفسه: ص 277

في بداية القصيدة بأتي الشاعر بذكر الحبيب الذي هو مبدأ كل شيء في الحقيقة ومبناه. وقصة هذه المدامة يصفها حتى نهاية القصيدة ترجع إلى هذا الحبيب وهو الغاية في الأصل.

من بداية هذه القصيدة لا يستطيع القارئ إلا أن يحكم عليها بأنها وصف الخمر المادية لما يرى من صفاتها المتبدية من خلال الأبيات. إلا أن القصيدة تبدأ بتصوير الخمر في صورة أسطورية رمزية محمّلة بمعان وإيحاءات عميقة، حيث يرمز إلى المحبة الإلهية بوصفها أزلية قديمة منزّهة عن العلل مجرّدة عن حدود الزمان والمكان.

ولذلك يرى النّابلسي:

« واعلم أن هذه القصيدة مبنية على اصطلاح الصوفية. فإنهم يذكرون في عباراتهم الخمرة بأسمائها وأوصافها ويريدون بها ما أدار الله تعالى على ألبابهم من المعرفة أو من الشوق والمحبّة والحبيب في عبارته عن حضرة الرّسول عليه الصلاة والسلام. وقد يريدون ذات الخالق القديم جلّ وعلا».[1]

ثمّ يبدأ بوصف الخمر إذ يختص قسما كبيرا من القصيدة لها. بدقة النّظر في هذه الأوصاف يبدوا كأن الصفات المذكورة لشيء أعلى من الخمرة المادية والخمرة في الحقيقة تمثل غيرها وهي يمكن أن تكون رمزا للحب. رمزا لحب أصيل حب الحبيب الأزلي. وهو يصف الخمر كمفتاح كل قفل ودواء كل داء

وعن البيت الذي يقول فيه:

وإن خطرت يوما على بال امرئ أقامت به الأفراح وارتحل الهمّ

غننا نلتمس فيه مجارات ومحاكاة وسيرا على طريقة أبي نواس في قوله:

[1] المصدر السابق: ص245

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسّته سرّاء[1]

ولهذه المدامة تحولات رمزية. فهي تبدو مشرقة على كل تقدير وتصوير. وليس الهلال والنجم إلا تحوّلين من التحوّلات الرّمزية للبدر فهو هلال إذا ما احتجب بظهور نفسه عن إظهار بقية النور. وقد تحدث ابن الفارض عن عرف المدامة الشذي. ووصف ما ينبعث منها سنا رائق، وضوءا شفافا. مستعيرا ذلك كله من أساليب الخمريين فشذا هذه المدامة رمز على عالم الروح الأعظم وسناها تلويح إلى نورانية العقل الإنساني الذي لولاه لما اثبت الوهم لهذه المدامة الرمزية صورة ذهنية لأنها لا صورة لها في نفسها.

وليس يخفى أن ابن الفارض قد لوح إلى العرفاء والسالكين بالندامى. وهم أولئك الذين يجمعهم تراب المحبة الروحية بحيث يذهب السكر بهم إذا ما وقع نظرهم على ختم الدنان. وختم الآنية من الناحية العرفانية هي اثر من آثار التجلي الواقع عن النفس الإنسانية بوصفها إناءا للحكمة ومحلا للظهور الإلهي.

ثمّ إنه يبين معرفته للخمر أو لحب المحبوب كأنه بين الناس معروف بهذه المعرفة وهم يطلبون منه وصف حبه العريق للمحبوب الحقيقي وهو كذلك يقبل هذا الإدعاء ويأخذ في الوصف. ويقول بأن لهذا الحب صفات ليس لها مثيل وهو مطهر خال من التلوث المادي وفي الحقيقة أعلى مما يتبادر إلى الذهن. ثم ينصرف إلى تبيينه وما أدركه منه من أعماق قلبه ويتكلم عن قدمه بأنه كان موجودا قبل أن يوجد كل ما في العالم.

[1] أبو نواس: الديوان، ص07

وخلق كل شيء على حسب محبة الله وفهمها لا يمكن إلا بواسطة العقلاء. والذي حرم من هذه النعمة محروم من إدراك هذه المحبة. ثم فلننظر إلى البيت الذي يقول فيه:

ولا قبلها قبل ولا بعد بعدها وقبلية الأبعاد فهي لها حتم

إننا بمجرد سماعنا لهذا البيت ننزاح بفكرنا إلى قوله تعالى في الآية الكريمة:

﴿ هُو الأَوَّلُ وَالآخِرُ والظّاهِرُ والبَاطِنُ ﴾[1]

لقد أخذ هذا المعنى ونقله نقلا من القرآن الكريم وأحسن صياغته أيما حسن.

ويتّهمه العوام بالإثم، لأنه غريق في بحر حبِّ الله. ولكنه لا يقبل كلامهم بل يعتقد جازما بأن البعد عن هذا الحب العظيم هو الإثم والعصيان أمام المعبود. وهو يتكلم عن الفرح والنشاط الذي يحصل له من قربه للمحبوب وهو الذي ذاق طعم غرامه قبل أن تطأ قدماه عالم الطبيعة. وكأن طعم الحب عنده حلو بحيث لا ينساه حتى يموت ويبلى عظمه أي حتى لو لم يبقى له أثر. نعم حب الإله أطيب لذة عند الشاعر ولهذا يشدد في توصيته للآخرين بكسبه والتهافت عليه. وفي ختام كلامه يخبر بأن الحياة دون الحب الحقيقي هي الموت أو من لم يدرك هذا الحب في حياته فهو ميت ولا طائل من بقائه يد فوق الأرض فهو خاسر لا نصيب له. وهكذا لم يبق من الخمر في شعر ابن الفارض إلا اسمها وما يوحي به من سكر وانتشاء. قارن به أحوال الوجد الإلهي، وتدل هذه الخمرية على الكيفية التي تم بواسطتها تحول الموضوع إلى رمز شعري فيه كل ما يمكن قوله بالرمز فهذه الخمرة في واقعيتها المليئة وطابعها الحسي المباشر تتجاوز المعطيات المادية إلى المعطيات الروحية.

[1] سورة الحديد، الآية 3

الخصائص الفنية والأسلوبية للقصيدة:

قصيدة ابن الفارض الخمرية بشهادة الدارسين والنقاد هي من أعذب القصائد الصوفية وأوفاها شكلا ومضمونا دس فيها ابن الفارض أشواقه ورمز بها إلى طريقته باتخاذه الخمر وسيلة لا غاية. اتخذه مطية لبلوغ نشوته وسلوكه طريق الحق تعالى وخمرية ابن الفارض كما في خمريات غيره من الصوفيين غلب عليها التأثر بخمريات من قبلهم من الماديين. فهم أفادوا من هذا الموروث الوافر ألفاظا وصورا ومعاني وظفوها لخدمة أغراضهم.

ومن المعلوم أن ابن الفارض كشعراء عصره ولع بالصناعة اللفظية والمحسنات البديعية لأنه من عصر اعترى الصناعة الشعرية فيه كثير من التكلف.

"وهذه المحسنات كانت مستحسنة في أيام الشاعر لأن الشعراء كانت قرائحهم قد جف معينها. فطفقوا يغيرون على معاني الأقدمين ويتفننون بإبرازها في ألفاظ وتعابير متصنعة. فأتى شعرهم خاليا من الإبتكار.ناضبا من الحياة والعاطفة"[1]

وقد لا نطيل مع الصناعة الفنية واللفظية في قصيدة ابن الفارض بل سنكتفي بذكر بعض الأمثلة البارزة:

استهل الشاعر قصيدته بأسلوب خبري سردي ثم أكثر من الأساليب الشرطية ليعطي صورة عن قوة تأثر هذه الخمرة الروحية وقوة دلالتها.

ومن الصور البيانية: التشبيه البليغ في قوله " لها البدر كأس"

[1] ديوان ابن الفارض: ص05

سجع في شذاها / سناها وقد كثرت كناياته لكثرة تقديسه لخمرته ومبالغته في وصف قدرتها ومن أمثلتها:

وإن خطرت يوما على خاطر امرئ أقامت به الأفراح وارتحل الهم

في البيت كناية عن قدرة هذه الخمرة العجيبة وفي هذا البيت يظهر تأثر ابن الفارض بأبي نواس جليا فهذا المعنى مأخوذ من قول النؤاسي:

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء[1]

والطباق في قوله: الشرق/غرب، أكمه/بصير.

الجناس في قوله: النغم/الغم فهو جناس ناقص.

ولقد جاءت القصيدة في أسلوبها مليئة بالمبالغات في الأوصاف لعل الشاعر لشدة هيامه وتقديسه لموضوعه جعله منزّها عن كل علة مرفعا عن كل الصفات الدنيوية بقدرة لا تدركها الأبصار ولا العقول.

[1] أبو نواس: الديوان، ص07

خـــلاصـــة عامـــة حول القصيـــدة:

-ابن الفارض شاعر صوفي وظف الخمر كرمز ليخدم موضوعه الأسمى وهو الترقي حب الذات الإلهية.

اقترض ابن الفارض ألفاظ الخمريين ومعانيهم وصورهم وأوصافهم ليوظفها فيما يخدم غرضه.

خمرة ابن الفارض خمرة روحية لا تعدوا عن كونها رمزا صوفيا.

خمرة ابن الفارض الروحية لم توجد من فراغ بل تأثر بالكثيرين قبله، لعل أبرزهم رائد الخمريات الأول أبو نواس.

لم يأت ابن الفارض بالجديد في خمريته من ناحية الشكل والأسلوب فهو مقلد أكثر من كونه مبدعا.

طبع على خمرية ابن الفارض الصنعة اللفظية والإغراق في الصّور متأثرا بما ساد في عصره من صنعة لفظية وتكلف.

أثر ابن الفارض في مبالغاته ومشاهده العظيمة التي ميزها طابع الخيال وذلك ل تقديسه لمحبته الإلهية فهو يأبى أن يشابهها شيء من الموجودات والمحسوسات أو يتصف بصفاتها.

خمرية بن الفارض مطولة جاءت من بدايتها إلى نهايتها تتحدث عن موضوع الخمرة وحده وهي من أهم القصائد في ديوانه.

خمرية ابن الفارض تنم عن موهبة شعرية فذة ومتميزة أروعتها ودقتها وجمالها فقد فاق كونه صوفيا يحسن التعبير عن مواجيده واتصف بصفة الشاعر الفحل.

المبحث الثالث: عقـــد المقـــارنة

بعد التطرق لقصيدتي الشاعرين بالدّراسة والتحليل، وخروجنا ببعض الانطباعات، واستيفائنا لجملة الخصائص التي حملتها كل من القصيدتين بما يعبر عن صاحبها في شخصيته ونزعاته وميولاته. يسعنا أن نعقد مقارنة بين القصيدتين فيما يلي:

جاءت قصيدة أبي نواس كمثال من جملة خمرياته العديدة. وهذه القصيدة على قصرها استوفت الشروط الفنية والخصائص الأدبية لشعر الخمرة وحملت فكر أبي نواس واتجاهه.

بينما خمرية ابن الفارض طويلة ولا يوجد في ديوانه قصيدة خمرية صريحة من أولها إلى آخرها غيرها ولقد استوفت هي الأخرى جميع الخصائص الفنية لشعر الخمرة.

خمرة أبو نواس خمرة ماجنة صرّح في قصيدته بحبه وتعلقه بها وحدها دون ما سواها فهي خمرة حقيقية ملموسة.

أما خمرة ابن الفارض فهي رمز ووسيلة للتعبير عن غايته وحبه الإلهي فهي خمرة معنوية.

موقف أبي نواس الديني المتمرّد على كل القيم لا يستطيع إخفائه أمام نشوة خمرته فهو متعلق بها وبمجالسها.

بينما ابن الفارض له موقف الحب الإلهي الذي يتعلق به أيما تعلق وبذل في سبيله كل غال وأفنى فيه عمره وجسده.

أبو نواس ذو نزعة تجديدة ثائر على كل قديم لا طائل منه وهو ممن جددوا في شعر الخمرة. ولقد غير شكل قصيدتها وثار على الأطلال وان كان هذا لا ينفي أنه ابتدأ أول شعره بالخمرة التقليدية.

أما ابن الفارض فهو مقلد ومتبع في الأسلوب ومقترض للمعاني بشكل صريح.

يلوم أبو نواس من يدعوه إلى ترك الخمرة ويثور في وجهه متعللا بأنه حرّ في أفعاله ولا احد من البشر له حق الحكم علي وأن الحساب مؤجل عند الله تعالى.

بينما يلوم ابن الفارض من يعيب عليه ثمالته في حب الإله وتعلقه الشديد به متحججا بأنه لا قيمة لحياة لم يدرك صاحبها حب الذات الإلهية. وهذا النوع لا طائل من عيشته فهو كالميت أصلا.

أبو نواس بعيد عن التكلف والصنعة فهو من العصر العباسي عصر الأدب الرفيع.

أما ابن الفارض فقد غلبت عليه الصنعة والتكلف، متأثرا هو الآخر بالميزة الأدبية الغالبة في عصره.

خلاصـــــة:

اختلف غرض الخمرة بين أبي نواس وابن الفارض. إلا أنها تبقى من حيث كونها خمرة فنية لها قيمتها خصائصها. وجملة ما يمكن قوله بين هذين الشاعرين من خلا النموذجين الشعريين هو:

أبو نواس شاعر خمرة صريح أحب الخمر وأغرق في مجونه وهو لا يسمع صوتا إلا صوتها وهو شاعر ثائر ورافض للواقع الاجتماعي والسياسي والديني متمرد على التقاليد والضوابط. تظهر نزعته الشعوبية واضحة جلية. وهو الذي كره الطلل والوقوف عليه ورأى في ذلك شيئا من الضعف والعار. وخمرته لم تخل من مجون، لم يغفل فيها عن ذكر ووصف مجلسه وأوانيه وندمائه وساقيته. فهي أمور لا تكتمل من دونها لذته.

ولقد تميزت قصيدته ببنائها الفني البديع وسلاستها وعذوبة ألفاظها فهو فحل الشعراء ورائدهم في العصر العباسي.

وابن الفارض شاعر الحب الإلهي الذي جعل الخمرة وسيلة لا غاية وأحسن أوصافها حتى انك لتكاد تحسبه شاعر حسية ماجن. ولقد برع في نظم قصيدته أيما براعة.

ووصفه لأواني الخمرة والندماء وأحوال السكر كان وصفا فنيا لأحوال روحية أكسب الخمرة فيه وما يتعلق بها صفة القداسة ونزع منها صفة العربدة والمجون.

وأعرب فيها عن تعلقه بمحبوبه وبالحضرة العلية وأخذ ينهل من أوصاف الخمريين ومعانيهم نهلا فيما يخدم غايته وغرضه ويبلغه سبيله.

وقد ظهر في خمريته تأثره بالخمريين قبله سيما أبو نواس كما أغرق في الصور والبديع وهي ميزة قد لا تعاب فيه كونه لم يخرج عن المألوف في أدب عصره.

خاتمة

بين خمرة أبي نواس وخمرة ابن الفارض يبدوا البون شاسعا بحكم الفروق في الإتجاه والأغراض والعصر والبيئة والتقاليد والنزعة الدينية، بل وبشكل عام في مذهب الحياة كلها.

ولكن وبحكم أن الدراسة الأدبية التي تتعلق بالخصائص الفنية والمضامين فان الدراسة المقارنة بين خمريات الشاعرين أخذت تتخذ معالمها ما إن ولجنا في دراسة خصائص الخمرة عند كل شاعر من الشاعرين.

فخمرة أبو نواس التي اتضح لنا أنه استخدمها في أول أمره كوسيلة للفخر. يفتخر بشربها ويتلف المال فيها ليدل على جوده وكرمه كما كان يفتخر الشاعر الجاهلي. ولكنه فاقهم في ذلك روعة في الألفاظ والمعاني ولقد تعددت أنواع خمرياته لكثرة ما قاله فيها فإننا نجد منها:

الخمرة التقليدية: كان فيها مقلدا للخمريين قبله ولم يأت بالجديد في هذا الصعيد.

الخمرة الفنية: وهي نتيجة لثورته على نظام القصيدة التقليدية. فقد ساير الحضارة الجديدة واكتسب شعره فيها خصائص فنية وأسلوبية حديثة.

الخمرة الاجتماعية والسياسية: وقد كانت نتيجة لثورته على الأعراف والتقاليد والمظاهر السيئة في مجتمعه ، وثورته لاتجاه السلطة والحكام.فعبر فيها عن موقفه الرافض للنفاق والرياء بشت صوره.

الخمرة النفسية: وتعلقت بمكنوناته التي عبر عنها قي شعر الخمرة باعتباره ملاذا ومفرا من المشال النفسية والهموم.

الخمرة الأخلاقية والعرفانية: نزع إلى هذا النوع غي أواخر أيامه وقد نحى منحى الزهاد فكان موروثه فيها يحمل قيما أخلاقي وروحية عظيمة.

وأبو نواس ذو المواقف الصريحة في خمياته ثار على كل تقليد وعلى كل خلق ذميم ونزع إلى التجديد دائما. أحب الخمرة لذاتها ووصفها حبا وتعلقا بها وجعل شعره في خدمتها معظما لها.

بينما ظهر تأثر ابن الفارض بالموروث الحسي القديم. إلا أنه حمل من هذا الأخير ألفاظه وأساليبه ومعانيه ولم يحمل منه عربدته ومجونه. ولا ريب أنه تأثر بأبي نواس وأفاد من خمرياته مثلما أفاد منها كل الصوفية غيره باعتبار أبي نواس مرجعا في الخمريات ورائدها. وخاصة النوع الأخير من شعر الخمر لدى أبي نواس الذي جذب انتباه الصوفيين واهتمامهم لما ظهر فيه من نزعة زهد وتصوف.

ولقد كانت الخمرة عند ابن الفارض وسيلة لا غاية. عبر بها عن أحاسيسه ومكنوناته ومواجيده جاعلا إياها رمزا لبلوغ مرامه ومقصده في السلوك إلى طريق الذات الإلهيه.

فقد اتسمت خمرته بموضوعها الواحد ولم تتعدد أنواعها عنده. فهو الذي جاءت كل قصائده وشعره لغرض واحد. فما بالك بالخمرة على قلتها في ديوانه. وهو الذي لم تتعدد مواضيعه بل هام طوال حياته في حب الذات الإلهيه حتى سمي عن جدارة بسلطان العاشقين.

الملاحق

خوف ورجـــــــــــاء

أذن الركب بالمسيـــــــــــر وأنت متخلف تتـــــــهرّب

تغرُّ النفس بالأمـــــــــــاني والأماني سراب يكـــــذب

ويطوى يوم بعد يـــــــــوم وما انطوى عليك يحســـب

لا رجوع لغادٍ قد مضـــــــى وكل ماض تاريخ يكتـــــب

في بعد أنت وغفلـــــــــة والعمر يطوى ويذهـــــب

ما شربت خمرة النؤاســي ولا خضت في مجون ألعـــــب

كزهدي فيها زهدت فـــــي خمرة ابن الفارض فلا أشرب

لم أشرب شربكم ولـــــــم أسكر ولكني بالذنب أُغْلَبُ

شربت من كأس الدنيـــــــا شربة هي للموت أقـــــرب

شربت كاس الذنوب وكـــم كنت عن طريق الهدى أرغب

ادّعى قوم الثمالى في شربهـم ومابهم سكر و أمرهم عجب

ماكان السكر في شراب يوما إن السكر روح تسلـــــــب

إني اغترفت من نبع غرفـــةً تركت فلبي هائما يتقلـــــب

سكري وثمالتي من نظـــــرة وسهم عين رمته زينـــــــب

تركتني صريعـــــا مغشـــــى ألتمس الطريق والطريق يحجـب

أتخبط في قيـد سكـــــري ولا حيلة لأسير يصلـــــــب

تأخذني الأقدار أخـــــذا وتردني ردّ ذلّ يصعـــــــــب

أهم بالترك فلا أطيـــــق إن الهمم في الهوى تتغيـــــــب

لا همة لمن شرب الهـــــوى إن سكر الهوى مرٌّ مرعـــــــب

وندیمي قد تركني لوجـــدي والوجد قتّالٌ متكلِّـــــــــب

لا خير في نديم لا يبـــالي بكربك وعن عونك يتجنـــــب

تركك كما تركتك الليالـــي وحيدا والدمع هطال يسكـــب

إن النديم انديمه نصـــــف وهو الذي بكربك يكـــــرب

والصاحب من هو مصلح لِما كان فيك يعطـــــــــب

الهي قد تشرَّبتُ الإثم جهلا وليس غيرك إليه أهـــــــــرب

فررت من الذنوب فلاحقتني ولا طاقة لي فالضعف يغلـــب

وإليك وجهت ناصيتـــــي وجوارحي يا من لا سواه يطلـــب

يا ملاذ كل ضعيف مخطـئ إني بالذنب مقرٌّ لا أكـــــذب

رجائي فيك ربي وافـــــــر حاشاك أن تردّني فأتخيّـــــــب

ما أشركت بوجهك طرف عين وذخري أني لأمة احمد أُنســـب

إن لم تغفر فيالمذتي وهوانـــي لا طاقة لي بحر نار تتلهـــــب

ربّ اغفر ذنوب عبـــــد تائب متودّدٍ إليك يتقـــــرّب

كل فعله آثام وذنـــــوب وكله يقين أن بعفوك سيكسب

قائمة المصـــادر والمراجـــع

➢ المصادر:

القرآن الكريم

1. ابن الفارض: الديوان: جمعه وحققه مهدي محمد ناصر الدين.دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1990
2. ابن الفارض: الديوان. دار صادر بيروت. د ط. د ت.
3. ابن الفارض: شرح الديوان.جزءان. شرح البوريني والنابلسي . ضبط وتصحيح محمد عبد الكريم النمري. دار الكتب العلمية بيروت. لبنان. ط1. 2003.
4. ابن قتيبة: الشعر والشعراء. شركة الأرقم بن أبي الأرقم. بيروت. د ط. 1997.
5. ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير. ج 4.دار المسيرة. بيروت. د ط. 1979.
6. ابن المعتز: طبقات الشعراء. تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج. دار المعارف. مصر. د ط. دت
7. ابن منظور: مختار الأغاني في الأخبار والتهاني. ج3. تحقيق عبد الحليم طحاوي. الدار المصرية للتأليف والنشر مطبعة الباب الحلبي. د ط. 1966
8. ابن منظور: أبو نواس في تاريخه وعبثه ومجونه. دار الجليل بيروت. د ط. 1970
9. أبي نواس: الديوان دار صادر بيروت. د ط. د ت.
10. أبي نواس: شرح الديوان. ج1. ضبطه إيليا الحاوي. دار الكتاب اللبناني. د ط. 1987.
11. الأخطل: الديوان. دار المشرق بيروت.د ط. 1986.
12. الأعشى: الديوان. دار صادر. بيروت. ط 3. 2003
13. امرؤ القيس: الديوان. دار صادر بيروت. د ط. د ت.
14. حسان بن ثابت: الديوان.دار بيروت الطباعة والنشر. بيروت. د ط. د ت.

15. الزركلي: الأعلام، ج5 دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط15، 2002
16. طرفة بن العبد: الديوان. دار صادر بيروت. د ط. د ت.
17. عنترة: الديوان.دار بيروت للطباعة والنشر. د ط. 1978.
18. كعب بن زهير: الديوان.قدم له محمد نجم. دار صادر بيروت. ط1 1995.
19. الوليد بن يزيد: الديوان.جمع وتحقيق واضح الصمد. دار صادر بيروت. ط1. 1988.

➢ المراجـــع:

1. ابن منظور: أخبار أبي نواس. مطبعة الاعتماد. القاهرة. د ط. 1924.
2. أحمد أمين: فجر الإسلام. دار الكتاب العربي. بيروت لبنان.ط 10. 1969
3. أحلام الزعيم: أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد. دار العودة بيروت. ط1. 1981.
4. أمين يوسف عودة: تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية. عمان الأردن. ط1. لا ت.
5. أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط1. 1971.
6. إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب. دار الثقافة بيروت. لبنان. د ط. د ت.
7. البستاني فؤاد إفرام: المجاني الحديثة ج1. المطبعة الكاثوليكية. بيروت لبنان. ط1. 1972.
8. جورج غريب: شعر اللهو الخمر تاريخه وأعلامه: الأعشى- الأخطل- أبو نواس. دار الثقافة بيروت. لبنان. ط1. 1966.
9. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي. دار الجليل بيروت. د ط. د ت.
10. زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق. القاهرة. د ط. 1990.
11. طه حسين: حديث الأربعاء. ج2. دار المعارف القاهرة. ط 12. 1976.
12. عبد العلي بشير: تحليل الخطاب السردي والشعري. دار الغرب للنشر والتوزيع. الجزائر. د ط، د ت.

13. عبد الفتاح نافع: الشعر العباسي قضايا وظواهر. دار جرير للنشر والتوزيع جامعة اليرموك. ط1. 2008.

14. كروم بومدين: الشعر الصوفي. دراسة موضوعاتية في شعر الششتري. منشورات دار الغرب. الجزائر. د ط. د ت.

15. نجيب عطوي علي: خمريات أبي نواس دار ومكتبة الهلال للطباة والنشر بيروت. لبنان. ط1. 1986.

16. نصر عاطف جودة: الرمز الشعري عند الصوفية. دار الأندلس. بيروت لبنان. ط1. 1978

17. محمد زكي العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي. دار النهضة العربية. بيروت. لبنان. د ط. 1971.

18. محمد عبد الرحيم : ديوان أبي نواس مع السيرة والأقوال والنوادر. دار الراتب الجامعية. لبنان. ط1. 2008.

19. محمد علي أبو ريان: الحركة الصوفية في الإسلام. جامعة الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية. د ط. 1988.

20. مصطفى بيطام: مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول. ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون. الجزائر. د ط. د ت.

الفهرســـــت

مقدمة

الفصل الأول: الخمرة في أشعار العرب..... 20-03

تمهيد..... 03

الخمرة في الجاهلية..... 03

الخمرة في صدر الإسلام..... 09

الخمرة في العصر الأموي 12

الخمرة في العصر العباسي..... 17

الفصل الثاني: خمريات أبي نواس..... 53-21

تمهيد..... 03

المبحث الأول: التعريف بأبي نواس..... 30-24

أصله وكنيته..... 24

مولده..... 25

نشأته..... 26

عصره..... 26

مكانته بين رجال عصره..... 27

أدبه وعلمه ونبوغه..... 28
قالوا في أبي نواس..... 29
المبحث الثاني: خمرياته..... **53-31**
خمرياته من الناحية الشكلية 31
خمرياته من ناحية المضمون..... 34
نماذج من خمرياته..... 45
الفصل الثالث: خمريات ابن الفارض..... **76-54**
تمهيد..... 56
المبحث الأول: التعريف بابن الفارض..... **63-57**
أصله ومولده وكنيته..... 57
نشأته..... 59
عصره..... 60
مكانته في عصره..... 61
وفاته..... 61
ديوانه وأدبه..... 62
المبحث الثاني : خمرياته..... **76-64**
نبذة عن رمز الشعر الصوفي – رمز الخمر-..... 64

خمرياته من الناحية الشكلية 67

خمرياته من ناحية

المضمون..... 67

نماذج من خمرياته..... 70

الفصل الرابع : بين خمرة أبي نواس وخمرة ابن الفارض..... 77-110

تمهيد..... 78

المبحث الأول:

النموذج الخمري لأبي نواس..... 79

المبحث الثاني:

النموذج الخمري لإبن الفارض..... 89

المبحث الثالث:

عقد المقارنة..... 108

حلاصة 109

خاتمـــــــة .....

الملاحق..... قصيدة خوف ورجاء

قائمة المصادر والمراجع

الفهرست